التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ● العدد ٥٢٩ السنة الخامسة والأربعون - محرم ١٤٣٧ هـ

الثمن جنيهان

حوار

مع الرئيس العام بشأن الأحداث الجارية



عام هجري جديد..

والأمة تتدافعها الابتلاءات

- التوحيد ● النذر .. آداب وأحكام
- التوحيد ● أيهما خير؟ العزلة أم الخلطة ؟
- التوحيد ● أصول مكارم الأخلاق وجوامعها

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات
ت:٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM
المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: يرجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

السلام عليكم

هم العدو فاحذرهم ..

تنتمي طائفة القرامطة إلى الإسماعيلية إحدى طوائف الشيعة، كانوا يسكنون البحرين، يكرهون المسلمين أهل السنة كراهيتهم للعمى أو أشد، هاجموا الحجيج في بداية القرن الرابع الهجري، حتى هاجموا الحرم المكي واقتلعوا الحجر الأسود، وصعد أحدهم فوق الكعبة لخلع ميزابها، فوقع فاندقت عنقه فلم يخلعوه، وجردوا الكعبة من كسوتها، وسلبوا مقتنيات الكعبة وما كان على كسوتها من ذهب وفضة، وخلعوا باب الكعبة، وسلبوا أمتعة الحجيج وكل ما معهم، والأدهى من ذلك قاموا بقتل الحجاج، فقتلوا منهم قرابة الثلاثين ألفًا داخل الحرم وخارجه، وكانوا يقولون لمن يقتلونه: أنتم تقولون: «وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ» (قريش:٤). فما آمنكم من خوفنا، وضرب أحدهم الحجر الأسود بمثقل ليخلعه وهو يقول: أين الطير الأبابيل؟ وأين الحجارة التي من سجيل؟

وظل الحجر الأسود عندهم بعيدًا عن الكعبة ٢٢ عامًا، كانوا يرجون خلالها أن تتوجه أنظار الناس إليه عندهم، فلما لم يتجه إليهم أحدَ رَدُّوه إلى الكعبة سنة ٣٣٩هـ، ولا يزال غلاتهم ومتشددوهم يُعملون القتل في أهل السنة في العراق وسوريا بالألوف المؤلفة، ثم بعد ذلك يذرفون دموع التماسيح على مئات ماتوا وهم يؤدون عبادة ربهم في الحج، ثم يتحدثون عن التدخل لتنظيم الحج والحجيج!! فاعرفوا أعداءكم يا مسلمون.

التحرير

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي



في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٤٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد. على مكتب بريد عابدين، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد، ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة حساب رقم/ ١٩١٥٩٠

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

التذكير بخطورة التكفير

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعدُ:

فإنه بين الحين والآخر تخرج علينا طوائف من المبتدعة تؤجج نار الفتنة بين المسلمين، وتدفعهم إلى مزيد من التفرق والضياع، ومن هؤلاء من يجتهدون في إحياء ونشر فكر الخوارج بين المسلمين، وقد ظهرت تلك النابتة في هذا العصر، تحت ألقاب مختلفة ورايات متنوعة، وقد كنت واخواني في أنصار السنة نحذر من هذا الفكر ونرد على قائليه في كتب ومقالات، كان لها- بفضل الله وحده- كبير الأثر في إظهار الحق وبيانه، ومن باب التذكير، والبراءة إلى الله من دعاة التكفير، ودرءًا للفتنة عن ديار المسلمين، رأيت أن أحذر مرة أخرى من فتنة التكفير، صيانة لشباب المسلمين وعامتهم من الوقوع في التكفير، وذلك في نقاط محدودة كما يلي:

أولاً: كلمة في التحذير من الغلو:

نهى الإسلام عن الغلو بجميع صوره وأشكاله، سواء كان في المعتقد أو السلوك، وقد نهى الله في كتابه أهل الكتاب عنه، فقال: «يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ» (النساء:١٧١)، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الوقوع فيما وقع فيه من قبلهم طلبًا للسلامة والنجاة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على ناقته: «القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات، وهن حصى الخَذْف، فجعل يَنْفُضهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين». (صحيح سنن ابن ماجه ٢/١٧٧).

كما بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم عاقبة الغلاة وأن مصيرهم إلى الهلاك، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلك المتنطعون، قالها ثلاثا». (مسلم: ٢٦٧٠).

قال النووي رحمه الله: «أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم». (شرح النووي على مسلم ١٦/ ٢٢٠).

ثانيًا: من ثبت إسلامه بيقين لا يزول عنه إلا بيقين، وهذه قاعدة كبيرة من قواعد الشريعة الإسلامية، وقد قررها الفقهاء، وبنوا عليها كثيرًا من أحكام الشريعة، يقول عنها الإمام السيوطي رحمه الله: «اعلم: أن هذه القاعدة تدخل في جميع أبواب الفقه، والمسائل المخرجة عليها تبلغ ثلاثة أرباع الفقه أو أكثر». (الأشباه والنظائر/١١٥).

وقد قرر علماء الاعتقاد في كتبهم، وكانت بفضل الله مانعة من إطلاق التكفير على من دخل الإسلام وأعلنه، طارحة الشك والارتياب في الأشخاص.

> ”ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة.“

يقول ابن تيمية رحمه الله: «وليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة». (مجموع الفتاوى: ١٢/٤٦٦).

وقال ابن نجيم رحمه الله: «ثم ما تيقن أنه ردة يحكم به، وما يشك أنه ردة لا يحكم به، إذ الإسلام الثابت باليقين لا يزول بالشك، وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا ألا يبادر بتكفير أهل الإسلام». (البحر الرائق ج٥/١٢٥).

فتأمل- أخي القارئ الكريم- تقرير هذين العلمين لهذه القاعدة، واتفاق كلٍ منهما في أن اليقين الثابت لا يزول بالشك العارض، قال البغوي رحمه الله: وهو قول عامة أهل العلم». (شرح السنة ج١/٣٥٤).

وقد دل القرآن الكريم على هذه القاعدة كما في قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » (النساء: ٩٤).

قال السعدي رحمه الله: «يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهادًا في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة. فإن الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة. فالواضحة البيِّنة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟

فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي». (تيسير الرحمن ٢/١٣٢).

كما دلت السنة النبوية على هذه القاعدة، كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُرَقَةِ فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ». (البخاري: ٤٢٦٩، ومسلم: ٩٦). وقد قال الإمام الشافعي وابن القصار المالكي في معنى الحديث: أن من قال: لا إله إلا الله أصبح معصوم الدم ويحرم قتله. (انظر: شرح النووي على مسلم ٢/١٠٦).

ويلاحظ من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة فعله إنكارًا شديدًا لدرجة أن اسامة تمنى أن لم يكن قد أسلم وقتئذ، ويستفاد منه أنه لا يجوز اتهام الناس بالباطل وأخذهم بالظن والشك، وإطلاق الأحكام فيهم، وقد توعد الله من يؤذي المؤمنين والمؤمنات، فقال في كتابه الكريم: « وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا » (الأحزاب: ٥٨)، وأختم الكلام حول هذه القاعدة بهذا الكلام النفيس للشوكاني رحمه الله: «اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا

ببرهان أوضح من شمس النهار». (السيل الجرار ٤/٥٧٨).

ثالثا: الحكم على الناس بظاهر أحوالهم دون ما تخفيه سرائرهم:

إن الحكم على الناس في الدنيا يكون بحسب ما يظهر من أحوالهم، ونكل ما يضمرون في بواطنهم إلى علام الغيوب سبحانه، وعلى هذا فمن كان ظاهره الإيمان والاستقامة حُكمَ له بذلك، ومن كان ظاهره عكس ذلك حكم عليه به، ولم يأمرنا الشرع الحنيف أن نفتش عن بواطن الناس، وقد صرَّح بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم، كما في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، (وهو طويل)، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم قسمة بين بعض أصحابه، فقال رجل من أصحابه: «كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً قَالَ فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟! قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي، فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ؟! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ». (البخاري: ٤٣٥١).

وفي بعض روايات حديث أسامة السابق في قتله للرجل الذي قال لا إله إلا الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا». (مسلم: ٩٦).

قال النووي في شرحه للحديث: «أفلا شققت عن قلبه، فيه دليل للقاعدة المعروفة في الفقه والأصول: أن الأحكام يعمل فيها بالظواهر، والله يتولى السرائر». (شرح النووي على مسلم ٢/١٠٧).

ومما يدل أيضًا أن الأحكام تجري على الظاهر حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله». (البخاري: ٢٥، ومسلم: ٢٢).

> ”إن الحكم على الناس في الدنيا يكون بحسب ما يظهر من أحوالهم، ونكل ما يضمرون في بواطنهم إلى علام الغيوب سبحانه.“

وقال ابن حجر في شرحه للحديث: «فيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة، والحكم بما يقتضيه الظاهر، والاكتفاء في قبول الإيمان بالاعتقاد الجازم خلافًا لمن أوجب تعلم الأدلة». (فتح الباري ١/٧٧).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل الناس بحسب ما يظهر له من حالهم، حتى ولو كانوا على خلاف ذلك في الباطن كحال المنافقين الذين أخبره الله تعالى بنفاقهم وقد تعلم منه أصحابه ذلك، وساروا عليه، كما جاء عن عبد الله بن عتبة أنه قال: «إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ». (البخاري: ٢٦٤١).

ولا شك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهم ذلك من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال ابن حجر في شرحه: «هذا إخبار من عمر عما كان الناس عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما صار بعده». (فتح الباري: ٥/٢٥٢).

ولا شك أيضًا أن عمر رضي الله عنه قال ذلك بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه أحد، وللإمام الشاطبي رحمه الله كلمات دقيقة حول هذا المعنى، ومما قال: «فإن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصًا، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عمومًا أيضًا، فإن سيد البشر صلى الله عليه وسلم مع إعلامه بالوحي، يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم، وإن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه». (الموافقات ٢/٢٧١).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن أهل السنة والجماعة لا يشهدون لمعين من أهل القبلة بالجنة أو النار، إلا إذا ورد نص في ذلك، وإن كانوا يرجون

للمحسنين الجنة، ويخافون على المسيئين من النار، قال الطحاوي رحمه الله: «ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا». قال الشارح: «يُرِيدُ: أَنَا لَا نَقُولُ عَنْ أَحَدٍ مُعَيَّنٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، إِلَّا مَنْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، كَالْعَشَرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَإِنْ كُنَّا نَقُولُ: إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ إِدْخَالَهُ النَّارَ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، وَلَكِنَّا نَقِفُ فِي الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ، فَلَا نَشْهَدُ لَهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ إِلَّا عَنْ عِلْمٍ؛ لأن الْحَقِيقَةَ بَاطِنَةٌ، وَمَا مَاتَ عَلَيْهِ لَا نُحِيطُ به، لكن نرجو للمحسن، ونخاف على المسيئ». (شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢/٥٣٧).

وقال الطحاوي أيضًا في هذا السياق: «ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى». قال الشارح: «لأنا قد أمرنا بالحكم بالظاهر، ونهينا عن الظن، واتباع ما ليس لنا به علم، قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ» (الحجرات:١١)، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ» (الحجرات:١٢). (المرجع السابق ٢/٥٣٩).

رابعًا: أقسام الكفر:

عند الحديث عن التكفير لا بد من بيان أقسامه وذكر حكم كل قسم، وذلك لأن بعض الناس أطلق ألفاظ التكفير دون فقه لمرادها، وتفرقة بينها، ونصوص الشريعة تدل على أن الكفر قسمان: كفر أكبر مخرج من الملة، وهو خمسة أنواع، ذكرها ابن القيم رحمه الله، وعرَّف بكل قسم في كتابه. (مدارج السالكين ١/٣٦٦).

والنوع الثاني: الكفر الأصغر، وهو إطلاق لفظ الكفر على بعض المعاصي والذنوب، وهو كفر لا ينقل عن الملة، وصاحبه يدور في فلك الإسلام، ويطلق عليه كفر دون كفر، أو الكفر العملي تغليبًا، وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بابًا قال فيه: «باب كفران العشير وكفر دون كفر». ثم ساق حديث ابن عباس وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أريت النار، فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفر الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت خيرًا قط». (البخاري: ٢٩).

”الطاعات كما تسمى إيمانًا، كذلك المعاصي تسمى كفرًا، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد الكفر المخرج من الملة.“

قال ابن حجر: «قال القاضي أبو بكر بن العربي في شرحه: مراد المصنف أن يبين أن الطاعات كما تسمى إيمانًا، كذلك المعاصي تسمى كفرًا، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد الكفر المخرج من الملة». (فتح الباري ١/٨٣)، وقد ورد تقسيم الكفر من أعلام الصحابة والسلف كابن عباس، وطاووس، عطاء بن أبي رباح، وغيرهم. (انظر تفسير الطبري ٦/١٦٥، ١٦٦)، وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: «وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصي، فإن معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفرًا ولا شركا يزيلان الإيمان عن صاحبه، وإنما وجوهها أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار». (كتاب الإيمان/٤٣).

وما يقال في لفظ الكفر يقال في لفظ الشرك والظلم والنفاق، وقد عقد البخاري في صحيحه بابًا قال فيه: «باب ظلم دون ظلم»، ثم ساق قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ونصه: «لما نزلت الآية: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ» (الأنعام:٨٢). قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أينا لم يظلم؟ فأنزل الله: «إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ» (لقمان:١٣)». (البخاري: ٣٢).

قال ابن حجر في شرحه: «باب ظلم دون ظلم» (دون) يحتمل أن تكون بمعنى غير، أي أنواع الظلم متغايرة، أو بمعنى الأدنى، أي: بعضها أخف من بعض، وهو أظهر في مقصود المصنف، وأن المعاصي لا تسمى شركًا، وأن من لم يشرك بالله شيئًا فله الأمن وهو مهتد». (فتح الباري ١/٨٧-٨٩).

ثم إن الكفر الأكبر يكون كفر نوع لا ينزل على الأعيان إلا بقيام الشروط وانتفاء الموانع والتكفير حكم قضائي لا إفتائي لا يقوم به أحاد الناس ولكن يقوم به الراسخون في العلم من أهل الحل والعقد من اهل السنة والجماعة ، لا اصغار طلبة العلم.

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه.



عام هجري جديد.. والأمة تتدافعها الابتلاءات

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، والحمد لله الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا، وبعدُ:

بداية عام هجري جديد يهلّ علينا بما حمل من أوزارنا وتقصيرنا، بعد أن ودعنا بالأمس القريب عامًا مضى ولم تنقشع آلامه ومآسيه، ذهبت أيامه بحلوها ومرّها، وتصرمت لياليه بزَيْنها وشينها، وُلد أناسٌ ومات آخرون، وشفي مَرضى وابتُلي معافون، وقامت حروبٌ وسقطت حكومات، وحدثت متغيرات، وبرزت مستجداتُ.

ويُقبل علينا عام جديد، يجب على كل مسلم في بدايته أن يحاسب نفسه عما مضى، ويجب أن توقظ الهمم، وأن تستيقظ الضمائر النائمة، فالأمر جدُّ خطير، والعمر مهما طال قصير، ومآلك أيها الإنسان إلى موت ورحيل.

وإن تكالب أعداء الأمة يبشر باجتماعها، فسيف الأمة بعضها على بعض يزيد تفرقها، وبسيف عدوها يزيدُ اجتماعها، «وبمشيئة الله لن يجمع الله على هذه الأمة سيفين؛ سيفًا منها وسيفًا من عدوها».

ومع إشراقة عام هجري جديد، فإن المتأمل يجد أن أحوال الأمة من سيئ إلى أسوأ، تتدافعها الابتلاءات من كل المناحي، وإن الذي يُحزن قلب كل مؤمن حيٍّ غيور على دينه وأمته، أن العالم الإسلامي يعيش اليوم مرحلة من عُمره، تُعدُّ من أسوأ المراحل التي مرت عليه، فالقلب ينزف، والعين تزرف دمعًا وهو يرى من حوله أحوال أمته، وقد تكالب عليها الأعداء من كل فج عميق، فسوريا ومآسيها وما يحدث فيها ويُفعل بشعبها، والعراق مكافأة الشيعة من أمريكا والغرب لتنفيذ خططها والقضاء على سُنة العراق، وجعلها مرتعًا للتكفيريين تحت إشراف إيران، واليمن وأحقاد الحوثيين الذين دمروا البلاد، وليبيا التي أصبحت أطلالاً وأكثر بداوة، حتى يصب بترول العراق وليبيا في إسرائيل، ويصبح مصدرًا رئيسًا لها، ناهيك عما يحاك بالدول الإسلامية الأخرى، والأقصى ينهار على يد اليهود المجرمين، في غفلة من المسلمين، وإيران تستغل بوقاحة ما ابتلي به المسلمون في حادثة رافعة الحرم، والتدافع أثناء رمي الجمرات لتشويه جهود المملكة السعودية ورجالها، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تصرُّم الأعوام، وتلاحق الشهور، وتتابع الدهور

ومع بداية عام هجري جديد يجب على الإنسان التفكر الجاد، والتأمل الصادق في سُرعة مرور الأيام، وتصرُّم الأعوام، وتلاحق الشهور، وتتابع الدهور، وانتقال الإنسان من مرحلة إلى أخرى في مثل لمح البصر، فطفل الأمس قد غدا اليوم شابًا يافعًا، وشاب الماضي قد أصبح اليوم كهلاً وقورًا، والذي كان قبْلُ كهلاً قد صار اليوم شيخا جليلا، أو طاعنا في السنّ عليلاً، وانظر بوعي وإدراك كم فقدت ممن كانوا معنا من أب وأمّ وأخ وأخت، وقريب وبعيد، وجار وصديق، بل تأمل ما فات من عمرك كيف مضى وكأنه أحلام نائم، أو خيال يقْظان، حتى أمْسك القريبُ، تأمل كيف مضى وكأنه لم يمر بك.

واعلم أن ما تستقبله من دنياك كذلك، سيأتي سريعًا ثم يرحل عاجلاً، فكيف إذا علمت أن ما مضى لن يعود؟! وأن ما فات لا يُستدرك، وأن أعمار هذه الأمة قصيرة، وبقاءهم في هذه الدار قليل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إلى السَّبْعِينَ وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ». (صحيح سنن الترمذي: ٣٥٥٠).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. (رواه البخاري: ٦٠٥٣).

والمرء إذا كان في دار غُربة فإنك تجده قليل الانبساط إلى الناس، بل لا تراه إلا متوحشا منهم، ذليلا في نفسه، خائفا ممن حوله، وكذلكم عابر السبيل والمسافر لا يُبعد في سفره إلا بقدر ما يقوى عليه، وهو في هذا خفيفٌ من الأحمال والأثقال، غير مُتسبب ولا مُنشغل بما يَمْنعُه من إتمام سفره، ليس معه إلا زاد وراحلة يُبلغانه إلى بُغيته وقصده، و«كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ» (آل عمران:١٨٥)، فلا ينبغي أن يركن المسلم إلى الدنيا، ولا يتخذها سكنًا، وألا تحدثه نفسه فيها بطول البقاء فيها، وألا يتعلق منها إلا بمثل ما يتعلق به الغريب في غير وطنه.

وليكن لنا في رسولنا صلى الله عليه وسلم الأسوة والاقتداء، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ، وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا لكَ وِطَاءً؟ فَقَالَ: مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا. (رواه الترمذي: ٢٣٧٧، وصححه الألباني).

فإنّا إلى الله صائرون، وعما عملناه مسئولون، وعلى ما قدمنا محاسبون ومجزيون، «وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ» (الشعراء:٢٢٧).

شهر الله المحرم.. واستحباب صيام عاشوراء

وقد أهل علينا شهر الله المحرم، وهو أحد الأشهر الحرم، التي قال الله فيها: «إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ» (التوبة:٣٦).

ويوم العاشر من المحرم من الأيام التي لها شأن عظيم عند المسلمين، فيوم عاشوراء يوم عظيم من أيام الله؛ ذلك أن الأنبياء كانت تصومه، فقد صامه موسى بن عمران كليم الرحمن، عليه السلام، وصامه سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أمر الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بمن مضى من قبله: «أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ» (الأنعام:٩٠)، وكان هذا اليوم يصومه أهل الجاهلية في جاهليتهم، فعن عبدالله بْن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامَهُ وَالْمُسْلِمُونَ قَبْلَ أَنْ يُفْتَرَضَ رَمَضَانُ، فَلَمَّا افْتُرِضَ رَمَضَانُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عَاشُورَاءَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللهِ فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ». (رواه البخاري، ومسلم، واللفظ لمسلم). وصامه صلى الله عليه وسلم حتى وفاته.

وكان اليهود يصومون هذا اليوم (يوم عاشوراء)، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْمًا، يَعْنِي عَاشُورَاءَ، فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللهُ فيه مُوسَى وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لِلَّهِ، فَقَالَ: «أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ» (رواه البخاري، ومسلم). فصامه وأمر الناس بصيامه من باب التطوع لا من باب الفرض، فعن ابْنَ عَبَّاسٍ وَسُئِلَ عَنْ صِيَامِ عَاشُورَاءَ قَالَ: مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامَ يَوْمًا

يَتَحَرَّى فَضْلَهُ عَلَى الأَيَّامِ إِلاَّ هَذَا الْيَوْمَ، يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ. (رواه البخاري ومسلم، وغيرهما).

ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر حياته أن اليهود والنصارى يصومونه قال: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ». (رواه مسلم: ١١٣٤)، ولكنه توفي صلى الله عليه وسلم قبل أن يصومه، وقال للمسلمين: «صوموا يومًا قبله أو يومًا بعده، خالفوا اليهود».

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ». (رواه مسلم: ١١٦٢).

بترول العراق.. مكافأة لإسرائيل

نستقبل عامنا الهجري وأحوال أمتنا، وأوجاع المسلمين تحز في النفوس، وتقض المضاجع، وما يقوم به الغرب بقيادة أمريكا من محاولات مستميتة لتفكيك الدول العربية والإسلامية الموجودة حول إسرائيل، وتحويلها لدويلات صغيرة متهالكة بفعل الحروب التي أشعلتها في معظم البلدان العربية؛ تحقيقًا لإضعاف كل القوى العربية وتفتيتها، ونهب ثرواتها في نمط استعماري جديد، نجد العراق التي مزقتها أمريكا وحلفاؤها الغربيين، بعد أن حولتها إلى ساحة للحروب وقطعتها إربًا، لتمهد الطريق لإسرائيل لجني الثمار، ففي تقرير نشره موقع صحيفة الفاينتشال تايمز البريطانية في الأيام القليلة الماضية، حول مصادر الطاقة في إسرائيل، جاء فيه: «أن إسرائيل قد استوردت ١٩ مليون برميل بترول من الأكراد في العراق خلال الشهور الأخيرة، وأن الأموال التي تدفعها إسرائيل قيمة هذا البترول تساعد الأكراد على تمويل حربهم ضد تنظيم داعش الإرهابي بما يقدر ثمنه بمليار دولار، وتشكل ٧٥٪ من البترول الذي تستهلكه إسرائيل.

والأطماع الإسرائيلية في بترول العراق قديمة، ففي شهر يونيو من عام ٢٠٠٣م توقع بنيامين نتنياهو -وكان يشغل في ذلك الوقت منصب وزير المالية- إعادة تشغيل خط أنابيب البترول بين العراق وإسرائيل بعد إغلاقه وتوقفه عن العمل لمدة تزيد على خمسين عامًا منذ إعلان قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م، وقال نتنياهو يومها: «إنه لن يمر وقت طويل حتى يبدأ البترول العراقي في التدفق على ميناء حيفا في شمال إسرائيل ممتدًا من مدينة الموصل العراقية إلى حيفا عبر الأردن».

وبنظرة سريعة إلى الوراء وما سبق ترديده حول هذا الموضوع أيام الاعتداء الأمريكي البريطاني وغزوهم للعراق بالحجج الواهية التي كذبوا بها على العالم كله، تتضح خفايا إسرائيل، وتتكشف نياتهم عندما قام الإسرائيليون في ذلك الوقت بجمع المعلومات - حسب صحيفة هارتس الإسرائيلية - عن خط أنابيب البترول بين كركوك وحيفا، وبحث إمكانية تجديد عمل هذا الخط فور الانتهاء من الحرب، وتغيير النظام في العراق، وأن إعادة تشغيل خط البترول المذكور من شأنه توفير التكلفة الباهظة لنقل البترول من روسيا بالصهاريج، ويكون ذلك المنفذ الوحيد للبترول العراقي إلى البحر المتوسط مكافأة لإسرائيل واقتسامًا للغنائم من أرض العراق بينها وبين إيران من قبل الدول الغربية وأمريكا!! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المؤامرة على السعودية بعد أحداث مكة

يُقبل علينا عام هجريّ جديد، وقد تألمنا لوقوع حادثتي مكة، سقوط الرافعة في الحرم، ثم حادث التدافع الذي وقع قرب جسر رمي الجمرات بمنى، وما نتج عن الحادثتين من وقوع وفيات وإصابات لجموع كبيرة من الحجيج، ندعو الله سبحانه أن يحشر من توفي منهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ونحسبهم عند ربهم من الشهداء.

وتتعرض المملكة العربية السعودية إثر ذلك لحملة بغيضة هي بمثابة مؤامرة كبرى تديرها أمريكا من خلف الستار بالاتفاق مع إيران، وبعض الدول من حلفائهما، وهي إطلاق نغمة عالية بإبعاد المملكة عن إدارة شئون الحجيج، وأن يتم تمثيل عدد من الدول الإسلامية بإدارته؛ بدعوى منع تكرار الحوادث والكوارث التي حدثت في موسم الحج هذا العام، والتي يحاولون تشويه الصورة من خلالها بالمبالغة والكذب في واقعة الرافعة أو التدافع بمنى بشكل ضخم، وقد تناسوا تاريخهم الأسود، وإلحادهم في الحرم، وإدخال الأسلحة لقتل المسلمين الآمنين فيه!!

ويكشف هذا البغض الإيراني عما تكنُّه إيران للسعودية، بل وللمسلمين جميعًا، من حقد دفين، وهذه المؤامرة يجب أن تتصدى لها الدول الإسلامية والعربية، مع الوقوف بجوار المملكة العربية السعودية، وأن يتم استنكار تلك النغمة الخبيثة، والتأكيد على ثقة الدول الإسلامية والعربية في السعودية، وفي جهودها الجبارة التي تبذلها من أجل خدمة الحجيج، فلم تبخل السعودية بأي جهد، أو مال في خدمة ضيوف الرحمن والتخفيف عنهم،

والتيسير لهم، وتأمينهم من بداية وصولهم أرض السعودية، حتى مغادرتها بسلام وشهود العيان هم من أخبروا بذلك.

ولا يستطيع أحد أن ينكر حجم التوسعات الكبيرة المستمرة في كل المشاعر على مدى التاريخ لاستيعاب زيادة الحجيج كل عام، والتوسعة الحالية في المسجد الحرام خير شاهد، والتي تشير إلى الحجم المذهل من المشروعات التي ترفع طاقته الاستيعابية للمصلين والزوار، إضافة إلى ما تتكبده السعودية من المليارات لذلك ولدعم شبكة الطرق في المنطقة المحيطة بالحرمين، وكذلك توسعة المسعى، وبناء ثلاثة أدوار جديدة، وزيادة طاقة المطاف ليستوعب ١٣٠ ألف طائف، بدلا من خمسين ألف طائف في الساعة، وتطوير منطقة زمزم، ومشروعات أخرى مذهلة في الحرم النبوي الشريف، وقطار المشاعر الذي ينقل نصف مليون حاج من عرفة إلى المزدلفة في ٦ ساعات ليستغني به عن ثلاثون ألف حافلة، وكذلك جسر الجمرات الذي تكلف مليارات الريالات، وقطار مكة المدينة المنورة بتكلفة قدرها ٤٢ مليار ريال، ويعتبر أحد أكبر مشروعات السكك الحديدية في العالم بطول ٤٥٠كم، وسينتهي العمل فيه بنهاية ٢٠١٦م.

لذلك نقول: إن كل هذه المشروعات وغيرها لخدمة الحرمين الشريفين، ومن ينكرها ففي قلبه مرض، أو في غفلة أو هوى؛ فالجهود لا يستطيع مُبصر إلا أن يراها رؤيا العين، ليرد على التصريحات العدائية من إيران تجاه السعودية.

عام جديد .. والأقصى يئن بلا مجيب

نستقبل عامًا جديدًا، وما زالت الابتلاء تتدافع، وفي خضم انشغالنا بدرء الفتن التي عمّت أرجاءً شاسعة من عالمنا العربي يقوم الكيان الصهيوني بحركات استباقية؛ لتحقيق حلمه المزعوم، وهو بتر أقدام المسلمين قبل الوصول إلى الأقصى الشريف، في فصل جديد من التوتر المتصاعد بالأقصى المحتل، وارتكاب اليهود مجزرة بشعة بحق أبناء الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، والضفة الغربية والقدس الشرقية، ومقتل العشرات وإصابة المئات، واقتحام الأقصى أكثر من سبعين مرة خلال شهر من المستوطنين الإسرائيليين في حراسة جنودهم المدججين بالسلاح، فقد وصل عدد الشهداء ١٧ فلسطينيًا- نحسبهم كذلك، والله حسيبهم- معظمهم من الأطفال والنساء، وأكثر من ألف قتيل حتى كتابة هذه السطور، وفرض حصار عسكري من جيش الاحتلال على المسجد الأقصى في ظل حالة التيه الذي تعيشه الدول الإسلامية.

ومن المؤلم أنه في خضم ما تعانيه مدينة القدس، والمسجد الأقصى من عملية ممنهجة لتهويدها، تكتفي الدول العربية وجامعتها ببيانات الشجب والإدانة ضد ما يمارسه الكيان الصهيوني من هدم للبيوت، وتهجير للفلسطينيين والاستيلاء على المقدسات الإسلامية على اختلافها، وانتهاءً بمحاولتها الحالية تحجيم الوجود الإسلامي على أرض الأقصى الشريف، فهل آن الأوان أن يفيق العرب والمسلمون قبل فوات الأوان، وضياع الأقصى. والله سبحانه حافظ دينه، وحافظ بيته، فاللهم احفظ الإسلام وأعز المسلمين.

مصر إسلامية ... وليست علمانية

ونحن نستقبل عامًا هجريًا جديدًا، يخرج علينا وزير الثقافة المصري بتصريح يقول فيه: «إن مصر علمانية بالفطرة»!! في وقت يُحارَب فيه الإسلامُ، وأعداء الإسلام يتربصون به ويسعون جاهدين لهدم الدين الإسلامي وتشويهه.

ولم يكن تصريح وزير الثقافة هو الأول الذي يثير الجدل منذ توليه مسئولية وزارة الثقافة، بل إن الوزير قد صرح أيضًا بـ «أن الفقه الإسلامي فضيحة، وأنه يجب إراقة الدماء لحفظ علمانية مصر»!!

ونقول لوزير الثقافة: إن مصر دولة تدين بالدين الإسلامي الذي نعتز ونفتخر به بين الدول، ونتباهى بأننا من الدول الإسلامية الكبرى على مستوى العالم، ومصر الأزهر لن تكون أبدًا علمانية، فشعب مصر شعب متدين بفطرته، وليس علمانيًا بفطرته، والجميع يحترمنا لأننا نحافظ على هويتنا الإسلامية، ومصر دولة إسلامية بنص الدستور تتعايش فيها كل الديانات السماوية، وتتسع لكل الثقافات، مع احتفاظنا بهويتنا وشخصيتنا الإسلامية التي أنعم الله تعالى بها علينا، وقدوتنا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة وأسس الدولة المدنية التي ضمت الرسالات السماوية الثلاثة، وعاش فيها أصحاب المعتقدات الأخرى جنبًا إلى جنب مع المسلمين.

نسأل الله سبحانه أن يُعمر أوقاتنا بالطاعات، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يجعل عامنا عام عز وتمكين لديننا ولمصرنا وأمتنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة الزخرف

الحلقة الثامنة والأخيرة

قال تعالى: «وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)» (الزخرف: ٧٧- ٨٩).

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

«وَنَادَوْا يَا مَالِكُ» وَهُوَ كَبِيرُ خَزَنَةِ النَّارِ، «لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ» أَيْ لِيُمِتْنَا حَتَّى نَسْتَرِيحَ، مِنْ قَضَى عَلَيْهِ، إذَا أَمَاتَهُ. وَالْمَعْنَى: سَلْ رَبَّكَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْنَا، وَهَذَا لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ إبْلَاسِهِمْ، لأَنَّهُ جُؤَارٌ وَتَمَنٍّ لِلْمَوْتِ لِفَرْطِ الشِّدَّةِ، «قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ» أَيْ فِي الْعَذَابِ أَبَدًا، لَا خَلَاصَ لَكُمْ مِنْهُ بِمَوْتٍ وَلَا بِغَيْرِهِ (تفسير أبي السعود (٤٢/٦)). كَمَا قَالَ تَعَالَى: «فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى» (الأعلى: ٩- ١٣)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ» (فاطر: ٣٦- ٣٧).

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى عِلَّةَ مُكْثِهِمْ فِي النَّارِ وَخُلُودِهِمْ فِيهَا، فَقَالَ: «لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ» أَيْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِنَا، «وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ» فَكَذَّبْتُمُوهُمْ، وَلَمْ تَتَّبِعُوهُمْ عَلَى مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، «فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ» (الجاثية: ٣١)، «فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ» (الأحقاف: ٢٠).

وَإِنَّمَا نُسِبَتْ كَرَاهَةُ الْحَقِّ إِلَى أَكْثَرِهِمْ دُونَ جَمِيعِهِمْ لأَنَّ الْمُشْرِكِينَ فَرِيقَانِ: أَحَدُهُمَا: سَادَةٌ كُبَرَاءُ، وَهُمُ الَّذِينَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الإِيمَانِ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ. وَثَانِيهِمَا: دَهْمَاءُ وَعَامَّةٌ، وَهُمْ تَبَعٌ لأَئِمَّةِ الْكُفْرِ. وَقَدْ أَشَارَتْ إِلَى ذَلِكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ» (البقرة: ١٦٦). فَالْفَرِيقُ الأَوَّلُ هُمُ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ». وَأُولَئِكَ إِنَّمَا كَرِهُوا الْحَقَّ لأَنَّهُ يَرْمِي إِلَى زَوَالِ سُلْطَانِهِمْ وَتَعْطِيلِ مَنَافِعِهِمْ. (التحرير والتنوير(٢٥/ ٢٦١)).

وَبَعْدَ مَا ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَعَذَابَ أَهْلِ النَّارِ، انْتَقَلَ لِلْحَدِيثِ عَنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ، وَمَوْقِفِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَكَيْدِهِمْ لَهُ، وَمَكْرِهِمْ بِهِ مَكْرًا كُبَّارًا، فَقَالَ تَعَالَى:

«أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ»:

يُقَالُ: أَبْرَمَ الأَمْرَ، إِذَا أَحْكَمَهُ وَأَتْقَنَهُ، كَمَا يُقَالُ: أَبْرَمَ الْحَبْلَ، إِذَا فَتَلَهُ فَأَحْكَمَهُ وَأَتْقَنَهُ، وَالْمَعْنَى: إِنْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ أَبْرَمُوا

لرسولنا أمرا، وكادوا له كيدا، ومكروا له مكرا، فإنا مبرمون أمرا ينقض أمرهم، ويبطل كيدهم، كما قال تعالى «إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا» (الطارق: ١٥-١٧)، وقال تعالى: «أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ» (الطور: ٤٢)، وقال تعالى: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» (الأنفال: ٣٠).

«أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم»:

الاستفهام للإنكار، والمعنى: أيحسبون لجهلهم بالله وأسمائه وصفاته، أن الله لا يسمع سرهم، وهو ما يخفون في صدورهم مما يكيدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يسمع نجواهم، وهي ما يتحدثون به ويخفونه من كيفية إلحاق الأذى برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلذلك هم يمكرون ويكيدون، وكأنهم في مأمن؟! قال تعالى: «بلى» نسمع سرهم ونجواهم، كما قال تعالى: «وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى» (طه: ٧)، وقوله تعالى: «وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ» أي ما يقولون وما يعملون.

وهذه الآية كقوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (ق: ١٦-١٨).

وقد صرح ربنا سبحانه بكتابة أعمال العباد في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» (يس: ١٢)، وقوله تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ» (القمر: ٥٢-٥٣).

ومقتضى الكتابة أن الله سيجزيهم بأعمالهم التي كتبتها الملائكة في صحفهم.

«قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ»:

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: قل يا نبينا لهؤلاء المشركين الذين جعلوا الملائكة بنات الله، قل لهم: «إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين»:

اختلف المفسرون في «إن»: فجعلها بعضهم نافية، وجعلها بعضهم شرطية.

فالأولون قالوا: «إن» نافية بمعنى (ما)، كما في قوله تعالى: «إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ» (يس: ٢٩) أي: ما كانت إلا صيحة واحدة، وتقول العرب: إن كان هذا الأمر قط، أي ما كان هذا الأمر قط. فقالوا: الله تبارك وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يرد على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، أن يقول لهم: «مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ» (مريم: ٣٥)، وقال تعالى: «بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (90) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ» (المؤمنون: ٩٠-٩١).

والذين جعلوا «إن» شرطية قالوا: هذا من باب التنزل مع الخصم في المجادلة، للوصول إلى إبطال الباطل الذي هو عليه.

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا نبينا للذين قالوا اتخذ الله ولدا: «إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين» لهذا الولد، لأن الولد جزء من والده، وتعظيمه تعظيم لوالده، وأنا أعلم الخلق بالله، أثبت له ما أثبته لنفسه، وأنفي عنه ما نفاه عن نفسه، فلو كان لله ولد كنت أنا أول من يثبت ذلك له، لأن نفي ما أثبته الله لنفسه لا يجوز، كما لا يجوز إثبات ما نفاه، وهو سبحانه قد نفى أن يكون له ولد، ونزه نفسه عن الولد في آيات كثيرة:

كقوله تعالى: «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (يونس: ٦٨)، ولذلك نزه نفسه هنا عما وصفوه به، فقال تعالى: «سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون».

ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتركهم وما اختاروا لأنفسهم من الشرك حتى يأتيهم وعد الله، وينزل بهم عذابه، فقال تعالى: «فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون»: أي اتركهم يا نبينا يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم التي اتخذوها لهوا ولعبا، «حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون»

وَهُوَ يَوْمُ الدِّين، يَوْمُ الْفَصْل، يَوْمُ الْجَمْع، «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» (المعارج: ٤٣-٤٤)، «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ» (القمر: ٦-٨).

«وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ»:

الإِلَهُ مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الإِلَهُ الْحَقُّ، هُوَ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ إِلَهُ مَنْ فِي الأَرْض، أَيْ يَعْبُدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيَعْبُدُهُ أَهْلُ الأَرْض، وَهَذه الآيَةُ كَقَوْلِه تَعَالَى: «وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ» (الأنعام: ٣) أَيْ هُوَ الْمَأْلُوهُ (أَيْ الْمَعْبُودُ) فِي السَّمَوَات، وَهُوَ الْمَأْلُوهُ فِي الأَرْض.

وَلَيْسَ فِي الآيَتَيْنِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ فِي كُلِّ مَكَان، كَمَا يَعْتَقِدُ بَعْضُ النَّاس، إِنَّمَا اللهُ فِي السَّمَاءِ، عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِه، وَكَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ رَسُولُهُ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِرَبِّه.

قَالَ تَعَالَى: «أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ» (الملك: ١٦-١٧).

وَقَالَ تَعَالَى: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ» (الأعراف: ٥٤). وَتَكَرَّرَ التَّصْرِيحُ بِالاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِع، هِيَ الأَعْرَاف، وَيُونُس، وَالرَّعْد، وَطَه، وَالْفُرْقَان، وَالسَّجْدَة، وَالْحَدِيد.

وَكَذَلِكَ صَرَّحَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ.

عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ لِمَن اعترض علي تقسيمه بعض الأموال: «أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً». (صحيح مسلم ١٠٦٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه! مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْه، إِلاَّ كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا)) (صحيح مسلم ١٤٣٦).

«وَهُوَ» سُبْحَانَهُ «الْحَكِيمُ» فِي أَفْعَالِه وَأَقْوَالِه، وَقَضَائِه وَقَدَرِه، وَأَمْرِه وَنَهْيِه، «الْعَلِيمُ» بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلا يَخْفَى عَلَيْه شَيْءٌ فِي السَّمَاءِ وَلا فِي الأَرْض، «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» (الأنعام: ٥٩).

«وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا»:

تَبَارَكَ: فِعْلٌ مَاضٍ جَامِدٌ، مُخْتَصٌّ بِمَدْحِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، فَلا يُمْدَحُ بِه غَيْرُهُ، وَمَعْنَاهُ: كَثُرَتْ خَيْرَاتُهُ، وَعَمَّتْ بَرَكَاتُهُ، وَعَظُمَتْ أَفْعَالُهُ، هُوَ مَالِكُ الْمُلْك، وَبِيَدِه مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، «وَعِنْدَهُ» سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ «عِلْمُ السَّاعَة» فَلا يَعْلَمُ مَتَى السَّاعَةُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِه، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِجِبْرِيلَ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنِ السَّاعَة. قَالَ: ((مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)) (صحيح البخاري ١١٤).

«وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» يَوْمَ الْقِيَامَة «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى» (النجم: ٣١)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» (يونس: ٤).

«وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ من دُونِه الشَّفَاعَةَ»: هَذَا نَفْيٌ لِمَا اعْتَقَدَهُ الْمُشْرِكُونَ فِيمَنْ عَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ الله، حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ شُفَعَاؤُهُمْ عِنْدَ الله، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (يونس: ١٨)، فَأَنْكَرَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ هَذَا الاعْتِقَاد، وَبَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لَهُ وَحْدَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: «أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (الزمر: ٤٣-٤٤).

فَالشَّفَاعَةُ لله، لا يَمْلِكُهَا غَيْرُهُ، وَلا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» (البقرة: ٢٥٥)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي

شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ » (النجم: ٢٦)، وقال تعالى: « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ» (الأنبياء: ٢٦- ٢٨).

وقوله تعالى: «إلا من شهد بالحق وهم يعلمون» معناه: فإن الله يشفع فيهم من شاء من الشافعين، إكرامًا للشافع وإظهارًا لفضله، وبرًا ورحمة بالمشفوع فيه.

وشهادة الحق هي شهادة أن لا إله إلا الله، ولابد فيها من العلم واليقين.

وهذه الآية كقوله تعالى: « لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا » (مريم: ٨٧)، والعهد هو شهادة أن لا إله إلا الله، ولذلك جاء في الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه أو نفسه)) (صحيح البخاري ٩٩).

«ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله»:

هذا إعلام من الله تعالى بما كان المشركون مقرين به من توحيد الربوبية، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله»، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، فمن أقر بأن الله خالقه يجب أن يفرد الله بالعبادة، فمن الجهالة بمكان أن يعبد من لا يخلق.

لكن المشركين كانوا مقرين بأن الله خالقهم، فإذا قيل لهم: اعبدوا ربكم الذي خلقكم استكبروا، وأصروا على عبادة غيره، قال تعالى: «فأنى يؤفكون»؟ أي: فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره، مع اعترافهم بكون الكل مخلوقين له؟! « أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ » (الأعراف: ١٩١- ١٩٢).

«وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون»:

قرئت هذه الكلمة «وقيله» بالجر والنصب، فعلى قراءة الجر تكون معطوفة على الساعة، في قوله تعالى: «وعنده علم الساعة» أي وعنده علم قيله. وعلى قراءة النصب تكون معطوفة على «سرهم ونجواهم» في قوله تعالى: «أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم» أي ويحسبون أنا لا نسمع قيله.

والضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم، وكأنه صلى الله عليه وسلم اشتكى إلى ربه عدم إيمان قومه، وهذه الشكوى كما في قوله تعالى: « وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا » (الفرقان: ٣٠).

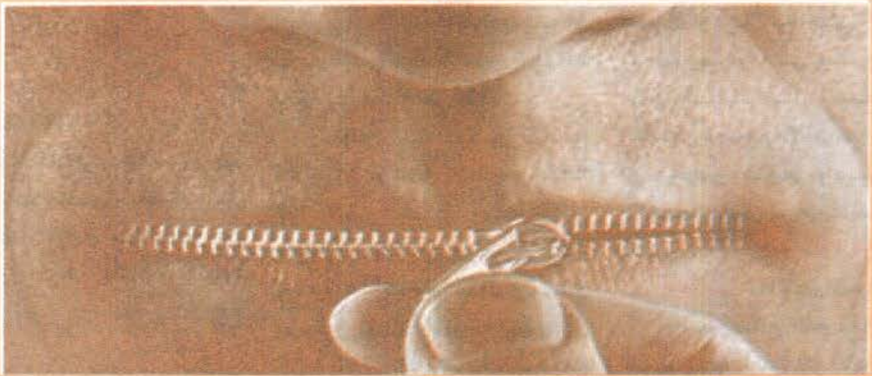
والمراد أن الله قد سمع قول نبيه صلى الله عليه وسلم، وشكواه من قومه، وسينتصر له، عاجلاً أو آجلاً، وما على الرسول إلا أن يصبر حتى يأتي وعد الله، ولذلك قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: «فاصفح عنهم» أي أعرض عنهم، واصبر على أذاهم، «وقل سلام»، كما قال تعالى: « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » (الأعراف: ١٩٩).

وقد مدح الله تعالى من استجاب لذلك الأدب من المؤمنين، فقال في معرض المدح: « وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا » (الفرقان: ٦٣)، وقال تعالى: « وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ » (القصص: ٥٥).

ثم توعد الله تعالى الذين لا يؤمنون فقال: «فسوف يعلمون»، والمعلوم مسكوت عنه هنا، وقد صرح به ربنا سبحانه في قوله: « قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ » (الزمر: ٣٩- ٤٠)، وقال تعالى: « الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ » (غافر: ٧٠- ٧٢). نعوذ بالله من النار، ونسأله الجنة.

والحمد لله رب العالمين.

أمسك عليك لسانك



الحمد لله الذي ألف بين قلوب المؤمنين، وجعلهم إخوة متحابين متراحمين، على الخير متعاونين، ، وللفحش والزور مجتنبين، وعن أعراض إخوانهم ذابين ومدافعين، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعدُ:

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

فمن أهم ما يميز المجتمع الإسلامي: أنه مجتمع مودة وتراحم، وتكاتف وتلاحم، ومحبة وتلاؤم، ولكن فيه من لا تحجزه مروءة ولا يردعه دين أو أدب، جرَّد لسانه مقراضًا للأعراض بكلمات تنضح فحشًا، وألفاظ تنهش نهشًا، يسرف في التجني على عباد الله بالسخرية واللمز، فهذا طويل وذاك قصير وهذا أحمق وذاك جهول، وكأنه قد وُكل إليه تجريح عباد الله، ويزدادُ الأمر وتعظمُ البلية حين ترى عليه علامات اللوم وملامح الاحتشام، سيما الوجاهة، وهيئات العلماء، ومع هذا المظهر الخداع، يصم بالخوض في الباطل أذني جليسه، لا يدع لأصحاب فضل فضلاً.. يحمل عليهم الحملاتَ الشعواءَ أحياءً وأمواتَ تُرى ما هذا الداء إنه «داءُ الغيبة»، قل أن تسلم منه المجالس، ويندرُ أن ينفك منه مجتمع من المجتمعات، إلا من رحم ربي.

فالغيبة هي: الداء العضال، والسم الذي عند بعض الألسن أحلى من الزلال، وقد جاء الإسلام بتحريم الغيبة تحريمًا قاطعًا، وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم عديلة قتل النفس، وغصب المال فقال صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله

وعرضه». (مسلم: ٢٥٦٤).

وأعظم من ذلك وأجل كلام ربنا عز وجل: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات:١٢).

فتأمل أخي المسلم رحمك الله هذا الأسلوب البليغ، في النهي المقرون بالمثال الذي يزيد الأمر شدةً وتغليظًا، والعمل تقبيحًا وتشنيعًا، ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات:١٢).

فإن أكل لحم الإنسان من أعظم ما يستقذر جبلة وطبعًا، بل فكيف إذا كان ميتًا وجيفة؟

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنه مر على بغل ميت فقال لبعض أصحابه: «لأن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه، خيرٌ له من أن يأكل لحم رجلٍ مسلم». (صحيح الترغيب: ٨٣٨).

فسبحان الله، ما أعظم خطر الغيبة وما أشنع جرمها، ويا سبحان الله، ما أكثر تساهل الناس بها اليوم، حتى لكأنها مائدة مجالسهم، والغيبة ذات أسماء ثلاثة، كلها في كتاب الله عز وجل (الغيبة والإفك والبهتانُ)، فإذا كان في أخيك ما تقولُ فهي الغيبة، وإذا قلت فيه ما بلغك عنه فهو الإفكُ، وإذا قلت فيه ما ليس فيه فهو البهتانُ.

وللمغتابين نسوقُ هذا الوعيد قال صلى الله عليه وسلم: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته، يفضحه في بيته». (رواه أحمد: ٢٠/٤).

> **"ما أعظم خطر الغيبة وما أشنع جرمها، ويا سبحان الله، ما أكثر تساهل الناس بها اليوم، حتى لكأنها مائدة مجالسهم."**

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عُرج بي، مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم». (سنن أبي داود: ٤٨٧٨).

معنى: يخمشون: يخدشون ويجرحون.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: بينا أنا أماشي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذٌ بيدي، ورجلٌ عن يساره، فإذا نحن بقبرين أمامنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، وبلى، فأيكم يأتيني بجريدة؟» فاستبقنا، فسبقته فأتيته بجريدة، فكسرها نصفين، فألقى على ذا القبر قطعةً، وعلى ذا القبر قطعةً، وقال: «إنه يهون عليهما ما كانتا رطبتين، وما يعذبان إلا في الغيبة والبول». (صحيح الترغيب: ٢٨٤١).

وقال قتادة: ذُكر لنا أن عذاب القبر من ثلاث أثلاث: ثُلُث من الغيبة، وثُلُث من البول، وثلث من النميمة، وقال عمر رضي الله عنه: «عليكم بذكر الله، فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس، فإنه داءٌ».

ويقولُ بعض السلف: «الغيبة أشد من الزنى، قيل: وكيف؟ قال: الرجل يزني ثم يتوب، فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه». (كتاب الصمت: ص١٦٤).

واغتاب رجلٌ آخرَ عند بعض السلف، فنهره، فقال: «يا هذا، إياك ولوغ الكلاب». (الصمت: ص٢٩٩).

ويقول الحسن رحمه الله: «إذا رأيت الرجل يشتغل بعيوب غيره، ويترك عيوب نفسه، فاعلم أنه قد مُكر به». (الصمت: ١٩٨).

ويقول بعض السلف: «أدركنا السلف الصالح وهم لا يرون العبادة في الصوم والصلاة ولكن في الكفِّ عن أعراض الناس».

ويُروى أن معروفًا الكرخي رحمه الله إذا اغتاب عنده أحدٌ قال: «يا هذا، اذكر الكفن والقطن والحنوط إذا وَضعن عليك». (سير أعلام النبلاء: ٣٤١/٩).

ويا سلوى لمن اغتابهم الناس لاستفادتهم من حسناتهم، يُروى أنه لما بلغ الحسن البصري أن رجلاً اغتابه، أرسل إليه طبقًا من رطب، وقال له: «بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك- أي:

بغيبتك لي- فأردت أن أكافئك عليها، فاعذرني، فإني لا أقدرُ على مُكافأتك على التمام». (إحياء علوم الدين: ٣/١٦٤).
وقيل لبعض الصالحين: لقد وقع فيك فلانٌ حتى أشفقنا عليك ورحمناك، قال: عليه فأشفقوا وإياه فارحموا. وقال رجل للحسن: بلغني أنك تغتابني، فقال: لم يبلغ قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي.

أسباب وبواعث الغيبة

وإذا بحثنا عن الأسباب والبواعث لهذا المرض الخطير، وجدناها لا تعدو: ضعف الإيمان، وقلة الوازع، وعدم الخوف من الله، فالذي يغتاب الناس يقول بلسان حاله: «أنا الكامل، والناسُ مخطئون، وأنا المحق، والناس مبطلون».
واعلم أخي الحبيب أنَّ المستمع للغيبة شريك للمغتاب، فقد قيل: إنَّ التصديق بالغيبة غيبة والساكتُ شريك للمغتاب، يقول ابن المبارك- رحمه الله-: «فرَّ من المغتاب فرارك من الأسد».
وكان ميمونُ بن سياه لا يغتابُ أحدًا ولا يدع أحدًا يغتاب أحدًا عنده، ينهاه فإن انتهى وإلا قام من المجلس.
فيا ترى أين هو المؤمن القوي الذي يأبى أن يُغتاب أحدٌ في مجلسه؟ أين المؤمن الذي يأبى أن تسمع أذناه عيب أخيه المسلم؟
أين المؤمن الذي يريد أن يرد الله عن وجهه النار يوم القيامة؟
عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة». (صحيح الترغيب: ٢٨٤٨). وحسب المغتاب أنه بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى ومقته، وأنَّ حسناته تُنقل إلى من اغتابه ، وإن لم يكن له حسناتٌ نقل إليه من سيئات خصمه، فمن استحضر ذلك لم يُطلق لسانه بالغيبة.
فيا أخي الحبيب: أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك. (صحيح الترغيب: ٢٨٥٤). وسارع في رد المظالم.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». (مسلم: ٢٥٨٢).
وخذ بلسانك وقل: «يا لسان: قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم، من قبل أن تندم».

فضل صوم عاشوراء



عن عبيد الله بن أبي يزيد : أنه سمع ابن عباس، وسئل عن صيام يوم عاشوراء؟ فقال : « ما علمت أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- صام يوما يطلب فضله على الأيام إلا هذا اليوم ، ولا شهرا إلا هذا الشهر- يعني : رمضان ».
أخرجه البخاري (٢٠٠٦) ، ومسلم (٢٧١٨)، والنسائي (٢٣٦٩).
قال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد (٢ / ٧٢) : «فمراتب صومه ثلاثة :
- أكملها : أن يصام قبله يوم وبعده يوم .
- ويلي ذلك أن يصام التاسع والعاشر وعليه أكثر الأحاديث .
- ويلي ذلك إفراد العاشر بالصوم».

أيهما خير؟ العزلة أم الخلطة؟

باب السنة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

كثيرا ما يصل الحال ببعض الأخيار أنهم يفكرون في اعتزال الناس، وذلك لفرط ما يلاقونه من معاناة في زمن الغربة، ثم ما يلبث الواحد منهم يوازن بين المصالح والمفاسد في هذا القرار، وأيهما أخير له، وأفضل لدينه، وفي هذا الشأن

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

يروي لنا الإمام البخاري في صحيحه بسنده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ وَرَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ

عزو الحديث للكتب الستة:

كتاب الرقاق باب العزلة راحة من خلاط السوء (٦٤٩٤) رواه البخاري في

قال حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ حَدَّثَهُ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ... وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فذكره،

ثم قال البخاري:

تَابَعَهُ الزُّبَيْدِيُّ وَسُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ وَالنُّعْمَانُ عَنْ الزُّهْرِيِّ وَقَالَ مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَطَاءٍ أَوْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ يُونُسُ وَابْنُ مُسَافِرٍ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأخرجه في كتاب الجهاد (١٥/٤) (٢٧٨٦)باب أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد (باب فضل الجهاد والرباط) (١٨٨٨و أبوداوود في كتاب الجهاد في ثواب الجهاد (٢٤٨٧) (٣١٢/٢) وابن ماجة في باب العزلة) ٣٩٧٨) والترمذي/ باب أي الناس أفضل (١٨٦/٤) (١٦٦٠)

والنسائي/فَضْلُ مَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ(٣١٠٥)

ترجمة الإمام الزهري:

هوالإمام العلم محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن.... الامام العلم، حافظ زمانه أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام. وقد روى له الجماعة

ونحن إذ نترجم للإمام ابن شهاب فإنا نترجم له غير كونه إمام علم يتعلم من سيرته الكثير، لأن عليه مدار هذا الحديث كما رأيتم- فكل أسانيد الرواة تلتقي عنده-، ولأنه قد لمزه كثير من منكري السنة بأنه واضع للسنة، حيث إنه هو أول من دوّن السنة النبوية المطهرة، ومع هذا فترجمتنا له ليست كما يوافق ضوابط التراجم العلمية وأصولها، لكننا نستل من سيرته بعضا مما يدل على هذا الهدف العلمي التربوي، ومن ذلك ما رواه الذهبي في السير في ترجمته للإمام الزهري:

ففي علو همته وطلبه للعلم وملازمته وخدمته لشيوخه:

قال أبو الزناد: كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والصحف، يكتب كلما سمع.

وقال معمر عن الزهري، قال: مست ركبتي ركبة سعيد بن المسيب (شيخه) ثماني سنين.

وروى الزبير في " النسب " له: حدثني محمد بن حسن، عن

مـالـك، عـن ابـن شـهـاب، قـال: كنت أخـدم عبيدالله بـن عبد الله، حتى إن كنت أستقي له الماء المالح، وكان يقول لجاريته مـن بـالـبـاب؟ فـتـقـول: غلامك الأعيمش- فتظن أني غلامه- وإن كنت لأخدمه حتى لأستقي لـه وضـوءه. (وانـظـره في حلية الأولياء)

وقـال ابن أبي الزناد، عن أبيه، قال: كنا نكتب الحلال والحرام، وكـان ابـن شـهـاب يـكـتـب كلما سمع، فلما احتيج إليه، علمت أنه أعلم الناس، وبصر عيني به ومعه ألواح أو صحف، يكتب فيها الحديث، وهو يتعلم يومئذ.

وقال إسحاق بن محمد الفروي: سمعت مالكا يقول: دخلت أنا ومـوسـى بـن عـقـبـة، ومشيخة على ابـن شهاب، فسأله إنسان عن حديث، فقال: تركتم العلم، حتى إذا صرتم كالشنان (القرب البالية) قد توهت، طلبتموه؟! والله لا جـئـتـم بـخـيـرا أبـدا. فضحكنا.

وفي قوة حفظه وتثبته واسناده للرواية وتوثيقه يروي الذهبي:

عن ابن وهب، عن الليث، كان ابن شهاب، يقول: ما استودعت قلبي شيئا قط فنسيته.....

قـال عثمان الـدارمـي، حدثنا مـوسـى بـن محـمـد الـبـلـقـاوي، سمعت مـالـكـا، يـقـول: حـدث الزهري بمئة حديث، ثم التفت إلي، فقال: كم حفظت يا مالك؟ (أي بمـجـرد سـمـاع مـالـك من الـزهـري) قلت: أربـعـين، فوضع يده على جبهته، ثم قال: إنا لله كيف نقص الحفظ!!

وعن معمر، عن الزهري: ما قلت لأحد قط: أعد علي.

وروى محمد بن الحسن بن زبالة، عن الدراوردي، قال: أول من دوَّن العلم وكتبه ابن شهاب.

قال الشافعي: قال ابن عيينة: حـدث الـزهـري يـومًـا بحديث، فقلت: هـاتـه بـلا إسـنـاد، قـال: أترقى السطح بلا سلم؟.

وبسنده إلى الزهري قال: لقد أدركـت في المسجد سبعين ممن يقول: قال فلان، قال رسول الله، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال، لكان به أمينا.

وعـن توثيق علماء السلف له فيكاد يبلغ مبلغ التواتر في معناه:

ينقل الذهبي عن عبد الوهاب الثقفي، عـن يحيى بـن سعيد الأنصاري قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما ساق الحديث أحد مثل الزهري.

وعن أبي سلمة المنقري: حدثنا ابـن عيينة، عـن عـمـرو، قـال: جالست ابن عـبـاس، وابـن عـمـر، وجـابـرا، وابـن الزبير، فلم أر أحـدا أنسق للحديث من الزهري.

وعـن بقية: عن شعيب بن أبي حمزة، قيل لمكحول: من أعلم من لقيت؟ قال: ابن شهاب، قيل: ثم من؟ قـال: ابـن شهاب، قيل: ثم من؟ قال: ابن شهاب.

وعـن ابـن الـمـديـنـي: دار علم الثقات على ستة، فكان بالحجاز الـزهـري، وعـمـرو بـن ديـنـار، وبالبصرة قـتـادة، ويحيى بن أبي كثير، وبالكوفة أبو إسحاق والأعمش

وعـن أبـي صالح، عـن الليث بن سعد، قـال: مـا رأيـت عالما قط أجمع من ابن شهاب، يحدث في الـتـرغـيـب، فـتـقـول: لا يحسن إلا هـذا، وإن حـدث عـن العرب والأنـسـاب، قلت: لا يحسن إلا هـذا، وإن حـدث عـن الـقـرآن والسنة، كان حديثه

وعـن صـدقـه وقـوتـه في الحق وعـدم مداهنتـه نجـد مـا يـرد كيد الكائدين وادعاء الطاعنين في علمه وأنـه وضـع الحـديـث مداهنة للملوك فانظر إلى ما رواه الذهبي:

عن يعقوب السدوسي: حدثني الحـلـوانـي، حـدثـنـا الشافعي، حدثنا عمي، قال: دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك، فقال: يا سليمان: من الذي تولى كبره منهم؟ قال: عبد الله بن أبي ابن سلول، قال: كذبت، هو علي، فدخل ابن شهاب، فسأله هشام، فقال: هو عبد الله بن أبي، قال: كذبت هو علي، فقال: أنا أكذب لا أبـا لـك، فـوالله لو نـادى مناد من السماء، إن الله أحل الكذب ما كذبت، حدثني سعيد وعروة وعبيد وعلقمة بن وقاص، عن عائشة: أن الـذي تـولـى كبره عبد الله بن أبـي، قال: فلم يزل القوم يغرون به، فقال له هشام: ارحـل فـوالله ما كـان ينبغي لنا أن نحمل على مثلك، قال: ولم؟ أنا اغتصبتك على نفسي، أو أنت اغتصبتني على نفسي؟ فخل عـنـي، فـقـال لـه: لا(يـعـنـي :لا نستغني عنك).

وعـن عـبـادتـه وعـمـلـه بعلمه وانفاقه فحدث ولا حـرج، فقد أفاض في ذلك الإمام الذهبي في ترجمته له في سير أعلام النبلاء فلتراجع لتمام الفائدة.

شرح عبارات الحديث

١- قوله: باب العزلة راحة للمؤمن من خلاط السوء: أي أن فقه البخاري للحديث هو أن العزلة راحة للمؤمن من الاختلاط بأهل السوء.

٢- قوله جاء أعرابي: يقول الحافظ ابن حجر «لم أقف على اسمه وأن أبا ذر سأل عن ذلك، لكن لا يحسن أن يقال في حقه أعرابي».

٣- قوله أي الناس خير؟: أي خير عند الله، وورد بألفاظ أخرى كقوله أي الناس أفضل؟

٤- قوله: (قال رجل جاهد) هذا لا ينافي جوابه الآخر في الإيمان أن خير الناس من سلم الناس من لسانه ويده ولا غير ذلك من الأجوبة المختلفة لنفس السؤال لأن الاختلاف في ذلك بحسب اختلاف الأشخاص والأحوال والأوقات كما تقدم تقريره.

قلت: فلا يتمسكن محب للخير بشعبة واحدة من شعب الخير تعلمها، فيقف عندها لا يتجاوزها، بل قد ينكر على غيره الذي تميز بشعبة أخرى فنقول كله خيروأعمال الخير واسعة، وكل ميسر لما خلق له، طالما أن الكل يعمل تحت مظلة السنة.

٥- قوله: «ورجل في شعب من الشعاب.. إلخ» بكسر الشين المعجمة الطريق في الجبل، ومسيل الماء، وما انفرج بين الجبلين، هو محمول على أنه من لا يقدر على الجهاد فيستحب في حقه العزلة ليسلم ويسلم غيره منه، يقول الحافظ: والذي يظهر أنه محمول على ما بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم

٦- وقوله: «يعبد ربه ويدع الناس من شره»: يقول الحافظ: زَادَ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ وَيُقِيمُ الصَّلاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ فِي خَيْرٍ، وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَهُ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ؟ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ الْحَدِيثَ وَفِيهِ أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَتْلُوهُ؟ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي غُنَيْمَةٍ يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ فِيهَا... وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ.

٧- فائدة : شرح معنى قول البخاري: تَابَعَهُ الزُّبَيْدِيُّ وَسُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ وَالنُّعْمَانُ عَنْ الزُّهْرِيِّ وَقَالَ مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَطَاءٍ أَوْ عُبَيْدِ اللهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ يُونُسُ وَابْنُ مُسَافِرٍ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قلت: أي أن الأئمة الثلاثة: الزبيدي (محمد بن الوليد السامي نسبة إلى زبيد) وسليمان بن كثير، والنعمان (بن راشد الجزري) ثلاثتهم، رووا الحديث عن الإمام ابن شهاب الزهري عن عطاء عن أبي سعيد الخدري به (متابعة لشعيب) ورواه معمر(بن راشد) عن الزهري شيخه كما رووه لكنه اختلف عنهم في عطاء شيخ الزهري فقال عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَطَاءٍ أَوْ عُبَيْدِ اللهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ به

وهذا الشك والتردد بين عطاء وعبيد الله (بن عبد الله) هو من معمر كما أفاد ذلك الحافظ ابن حجر قائلا:

هو بن عبد الله بن عتبة كذا بالشك وكذا أخرجه أحمد عن عبد الرزاق، وقال في سياقه معمر يشك، وقد أخرجه مسلم عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر فقال عن عطاء بغير شك، وكذا وقع لنا بعلو في مسند عبد بن حميد ولم يشك في قوله. (فتح الباري لابن حجر ١١/٣٣٢).

ثم قال البخاري: وَقَالَ يُونُسُ وَابْنُ مُسَافِرٍ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أي أن ثلاثتهم: الأئمة (يُونُسُ وَابْنُ مُسَافِرٍ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ) رووه أيضا عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَطَاءٍ لكنهم لم ينصوا على روايته عن أبي سعيد فقالوا: عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا لا يتعارض مع رواية الأئمة السابقين عن الزهري والتي نصوا فيها على الصحابي أبي سعيد كما قال الحافظ: (لأن الذي حفظ اسم الصحابي مقدم على من أبهمه).

«وانظر شرح الحديث في: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٣/٢٧٥) (فتح الباري- ابن حجر (١١/٣٣١-٣٣٢)

مما يستفاد من الحديث:

إن أول ما يرد بالذهن ويستفاد من الحديث هو سؤال يطرح نفسه: **أيهما أفضل العزلة أو الاختلاط بالناس؟** وهي مسألة مهمة لما يتعلق بها من مصالح تتعلق بالفرد والجماعة،

وللجواب على هذا اختصارا في هذه الحلقة نحيل على جواب إمامين، واحد من القدامى، وواحد من المعاصرين، ثم إننا نتوسع في عرض مباحث مهمة تتعلق به، من خلال تراجم من خرجه من الأئمة في لقاء قادم إن شاء الله :

يقول الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٣٢/١١): الْمُرَادُ بِخَيْرِيَّةِ الْعُزْلَةِ أَنْ تَقَعَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

وَأَمَّا زَمَنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ الْجِهَادُ فِيهِ مَطْلُوبًا حَتَّى كَانَ يَجِبُ عَلَى الْأَعْيَانِ إِذَا خَرَجَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَازِيًا أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعْذُورًا.

وَأَمَّا مَنْ بَعْدَهُ فَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ... وَأَمَّا الِاجْتِمَاعُ وَالِافْتِرَاقُ بِالْأَبْدَانِ فَمَنْ عَرَفَ الِاكْتِفَاءَ بِنَفْسِهِ فِي حَقِّ مَعَاشِهِ وَمُحَافَظَةِ دِينِهِ فَالْأَوْلَى لَهُ الِانْكِفَافُ عَنْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ، بِشَرْطِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَالسَّلَامِ وَالرَّدِّ وَحُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ، مِنَ الْعِيَادَةِ وَشُهُودِ الْجِنَازَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالْمَطْلُوبُ إِنَّمَا هُوَ تَرْكُ فُضُولِ الصُّحْبَةِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ شَغْلِ الْبَالِ، وَتَضْيِيعِ الْوَقْتِ عَنِ الْمُهِمَّاتِ، وَيَجْعَلُ الِاجْتِمَاعَ بِمَنْزِلَةِ الِاحْتِيَاجِ إِلَى الْغَدَاءِ وَالْعَشَاءِ، فَيَقْتَصِرُ مِنْهُ عَلَى مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، فَهُوَ أَرْوَحُ لِلْبَدَنِ وَالْقَلْبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

ثم يبرر لنا الحافظ ابن حجر سببا آخر للعزلة (هو في نظري) أهم مما سبق، وذلك لاتهام المرء فيه نفسه، يقول: «وَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ فِي الرِّسَالَةِ طَرِيقُ مَنْ آثَرَ الْعُزْلَةَ أَنْ يَعْتَقِدَ سَلَامَةَ النَّاسِ مِنْ شَرِّهِ لَا الْعَكْسُ فَإِنَّ الْأَوَّلَ يُنْتِجُهُ اسْتِصْغَارُهُ نَفْسَهُ وَهِيَ صِفَةُ الْمُتَوَاضِعِ، وَالثَّانِي شُهُودُهُ مَزِيَّةً لَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَهَذِهِ صفة المتكبر» انتهى من الفتح.

٢- ثم يوافق ذلك ويفصله الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تعليقه على فهم الإمام البخاري وترجمته على الحديث قائلا:

(العزلة راحة من خُلَّاط السوء)، وصدق-رحمه الله-؛ فإن العزلة راحة إذا لم يكن إلا اختلاطٌ مع أهل السوء، ولا شك أن الراحة خير من التعب، لا سيما التعب فيما لا يُرضي الله عز وجل.

وقد اختلف العلماء-رحمهم الله- أيهما أفضل العزلة أو الاختلاط بالناس؟

فقال بعض العلماء: (إن العزلة أفضل؛ لأنها أسلم لدين المرء)

وقال بعض العلماء: (بل الاختلاط بالناس أفضل لما يُتوقَّع من أمر بمعروف ونهي عن منكر ودعوة إلى الخير، وغيرُ ذلك

والصحيح:

أن الاختلاط بالناس أفضل؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"، إلا إذا كان في الاختلاط شر على المرء في دينه، فحينئذ تكون العزلة خيراً، لكنها مُوقَّتة، بمعنى: أنه إذا زالت الموانع اختلط بالناس؛ لأن الاختلاط بالناس فيه خير: دعوة للخير، أمر بمعروف، نهي عن منكر، معرفة لأحوال الناس، ائتناس بهم، إلى غير ذلك من المصالح الكثيرة،

والعزلة ينطوي الإنسان فيها على نفسه، وربما ينفتح عليه في هذه العزلة أبواب لا يستطيع سدها من الوساوس والتفكيرات السيئة حتى يذهب بذلك دينه ودنياه، ولهذا قيَّدها البخاري-رحمه الله- قال: (راحة من خُلَّاط السوء)، يعني: (لا مُطلقاً)، وقول من قال: (إن العزلة أسلم) فيه نظر؛ لأن كثيراً من الناس يبنون السلامة على التخلي عن الشيء، وهذا خطأ، فالتخلي عن الشيء قد لا يكون سلامة؛ لأنه إذا وجب عليك الخروج للناس والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تكن العزلة سلامة، بل تكون العزلة ندامة ومسؤولية وإضاعة، فالتخلي عن الشيء ليس سلامة على كل حال، بل قد يكون فيه الندامة والملامة.....

ثم يبين الشيخ من خلال شرحه وفهمه للحديث متى تكون العزلة أفضل؟ فيقول:

وقوله صلى الله عليه وسلم: (ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره): يقول: وهذا في حال الفتن وحال الشر باختلاط الناس؛ فتكون العزلة في شعب من الشعاب خيراً من الاختلاط بالناس لما في الاختلاط من الفتنة والشر، فالجهاد في حال مشروعيته- وجوباً أو استحباباً- خيرٌ من العزلة، والعزلة في حالة الفتنة خير من الاختلاط. انتهى.

وللحديث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة (٣٧)

إعداد/ علي حشيش

٣٦٤- «اللهم إنك أخرجتني من أحبِّ البلادِ إليَّ، فأسكِنِّي أحب البلادِ إليك، فأسكنهُ اللهُ المدينةَ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وقال: «هذا حديث رواته مدنيون من بيت أبي سعيد المقبري»، فتعقبه الإمام الذهبي في «التلخيص» قال: «لكنه موضوع، فقد ثبت أن أحب البلاد إلى الله مكة، وسعيد ليس بثقة».

قلتُ: والحديث من طريق سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أخيه عبد الله، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣١١٠/١٢٠/٢): قال ابن عدي: «عامة ما يرويه لا يتابع عليه»، فقال الذهبي: «لأن الكل عن أخيه عبد الله وعبد الله ساقط بمرة». اهـ.

ولذلك نقل الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤٣٥٣/٤٢٩/٢) أقوال أئمة الجرح والتعديل في عبد الله: قال ابن معين: ليس بشيء، وقال الفلاس: منكر الحديث متروك، وقال يحيى بن سعيد: استبان لي كذبه في مجلس، وقال الدارقطني: متروك ذاهب، وقال أحمد: متروك، وقال البخاري: تركوه». اهـ.

فائدة: تحقيق الحافظ الذهبي كما أوردناه آنفًا يشمل السند والمتن معًا، وفي هذا رد على فرية المستشرقين بأن علماء الحديث اقتصروا على نقد السند، هذا افتراؤهم لعدم تبحرهم: «مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» (الزخرف:٢٠).

٣٦٥- «عليٌّ أمير البررة، قاتل الفجرة، منصورٌ من نصره، مخذول من خذله، ثم مدَّ بها صوته».

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٢٩/٣) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعًا، وقال: «هذا حديث صحيح»، فتعقبه الحافظ الذهبي في «التلخيص» قال: «بل والله موضوع، وأحمد كذاب فما أجهلك على سعة معرفتك». اهـ.

قلت: وأحمد هذا: هو أحمد بن عبد الله بن يزيد المؤدب أبو جعفر، قال ابن عدي في «الكامل» (٣٢/١٩٢/١) كان ساحرًا يضع الحديث». اهـ. ثم أخرج له هذا الحديث وقال: «وهذا حديث منكر موضوع». اهـ.

٣٦٦- «لا يزال الرجلُ يذهبُ بنفسه حتى يُكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم».

الحديث لا يصح، أخرجه الترمذي في «السنن» (ح٢٠٠٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢١/٧) (ح٦٢٤٥) بلفظ: «يتكبر ويذهب بنفسه» من حديث سلمة بن الأكوع مرفوعًا وعلته عمر بن راشد، قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٤٧٤): «عمر بن راشد اليمامي ليس بثقة». اهـ.

وقال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٤٨١٥/٦٥/١٤): «قال الجوزجاني: سألت أحمد بن حنبل عنه فقال: لا يسوي حديثه شيئًا». اهـ. وفي «سؤالات أبي إسحاق إبراهيم بن الجنيد» (٨٥٢) للإمام يحيى بن معين قال: سمعت يحيى يقول: عمر بن راشد اليمامي ليس بشيء». اهـ.

٤٦٧- «مَن شرِّ الناسِ منزلةً مَن أذهبَ آخرته بدنيا غيره».

الحديث ليس صحيحًا: أخرجه ابن ماجه (ح٣٩٦٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦٥/٦) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وعلته شهر بن حوشب، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣٧٥٦/٢٨٣/٢): روى النضر بن شميل عن ابن عون قال: إن شهرًا تركوه، وقال النسائي وابن عدي: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال الدولابي: شهر لا يشبه حديثه حديث الناس، وقال ابن عدي: شهر لا يحتج به ولا يتدين بحديثه. اهـ.

وعلة أخرى: عبد الحكم بن ذكوان، قال الذهبي في «الميزان» (٤٧٥٣/٥٣٦/٢): عبد الحكيم بن ذكوان بصري عن شهر لا أعرفه. اهـ.

٣٦٨- «يأتي على الناسِ زمانٌ يستحلُّ فيه السُّحتُ بالهدية، والقتلُ بالموعظةِ، يقتلُ البريء ليوعظَ به العامةُ». اهـ.

الحديث لا يصح: أورده العراقي في «تخريج الإحياء» (١٥٤/٢) وقال: «لم أقف له على أصل». اهـ.

٣٦٩- «مَن قرأ سورةَ: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ» (النصر:١) أُعطِيَ مِن الأجرِ كمَن شَهِدَ مع محمدٍ يومَ فتح مكة».

الحديث لا يصح: أخرجه الثعلبي في تفسيره المسمى: «الكشف والبيان» (٣٨٨/١٠)، والواحدي في «الوسيط في تفسير القرآن المجيد» (٥٦٦/٤)، وأورده البيضاوي في «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (٣٤٤/٥)، والزمخشري في «تفسير الكشاف» (٤٤٦/٤) واللفظ له من طريق سلَّام بن سليم، عن هارون بن كثير عن زيد بن سالم عن أبيه عن أبي أمامة عن أُبي بن كعب مرفوعًا.

قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢٦٣٧/٢٢٢/٨): «سلام بن سليم روى عن هارون بن كثير أحد الضعفاء روى عنه «فضائل القرآن»، وقال عبد الرحمن بن خراش: كذاب، وقال الجوزجاني: غير ثقة». اهـ. وفي «سؤالات إبراهيم بن الجندي للإمام يحيى بن معين» (٨٧١): قال: سألت يحيى بن سلام بن سليم الطويل المدائني؟ فقال: ليس بشيء. اهـ.

وفي رواية ابن طهمان عن يحيى بن معين (٣٧٨) قال: «سلام الطويل ليس بثقة»، وقال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٣٧): «متروك الحديث». اهـ، وقال البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٥٢): «عن زيد القمي، تركوه». اهـ.

وعلة أخرى: هارون بن كثير مجهول، وعلة ثالثة زيد بن سالم عن أبيه نكرة، ذكره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٢١٨/٦) (٨٨٧٦/٢٠)، ثم قال: «ووقع في بعض طرقه زيد بن أسلم، وهو تحريف، والصواب زيد بن سالم».

النـــذر.. آداب وأحكام

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. أما بعد:

اعداد/ محمد عبد العزيز

مشروعية النذر:

فالنذر قربة من القرب المشروعة قال الله تعالى: «وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» (البقرة: ٢٧٠).

وقال: «إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۞ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۞ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا» (الإنسان: ٥-٧).

فجعله الله تعالى من أخص صفات المؤمنين التي يمدحون بها.

والنذر قربة من القرب وعبادة قديمة قال الله عز وجل: «إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ» (آل عمران: ٣٥).

فنذرت امرأة عمران ما في بطنها لله، ورجت منه القبول.

وأمر الله ـ تعالى ـ مريم بنذر الصمت ـ وهذا يدل على مشروعيته في شريعتهم. فإذا رأت من البشر أحدًا فسألها عن ولدها أخبرته بذلك.

قال الله ـ تعالى ـ: «فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا» مريم: ٢٦

تعريف النذر:

النذر: إيجاب المكلف على نفسه، ما لم يجب عليه بأصل الشرع.

والمكلف: البالغ، العاقل، الفاهم للخطاب، المختار، العالم بحكمه.

فغير البالغ، والمجنون، والغافل عن الخطاب: كالنائم والناسي والساهي، والمكره، والجاهل بحكمه، لا يجب عليهم الوفاء به، لو أوجبوه على أنفسهم.

وأما الكافر لو نذر فإنه يجب عليه الوفاء به، وهو في ذمته لو أسلم لحديث ابن عمر- رضى الله عنهما- أن عمر سأل النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام؟

قال: «فأوف بنذرك». رواه البخاري (٢٠٣٢، ٢٠٤٢، ٦٦٩٧)، ومسلم (٤٣٨٢).

الحكم العام للنذر:

نذر الطاعة المطلق مستحب على الصحيح، ولذا امتدح الله الوفاء به، قال تعالى: «ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ» الحج: ٢٩

وإنما يكره النذر المعلق، الذي يعلقه الناذر على تحقق شرط، فصار كعقد المعاوضة، وهذا قادح في نية القربة الخالصة.

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما. قال: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النذر، وقال: «إنه لا يرد شيئًا، وإنما يستخرج به من البخيل» رواه البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩).

أحكام النذر وصوره:

للنذر أحكام يمكن إجمالها بتصور أقسامه، ويمكن تقسيم النذر إلى ثلاثة أقسام إجمالاً باعتبارات مختلفة.

القسم الأول: باعتبار حال الناذر: وينقسم إلى قسمين:

١ ـ نذر الرضى.

وحكمه يعرف (بمتعلقه من التقسيم القادم).

٢ ـ نذر اللجاج (الغضب)، وسمي بذلك لأن اللجاج والغضب يحملان عليه غالبًا.

وهو كل نذر ينذره المكلف يريد به منع النفس من فعل شيء أو تركه أو تأكيد شيء لا يريد بذلك وجه القربة على التحقيق، كأن يقول: إن فعلت كذا، أو تركت كذا فعليَّ لله صوم كذا، أو صلاة كذا.

وحكمه: أنه لا يجب الوفاء به

وكفارته كفارة يمين على الراجح، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «لا نذر في غضب، وكفارته كفارة يمين.» رواه النسائي (٣٨٤٦)، وأحمد (٤/٤٣٣)، وأبو داود الطيالسي (٨٧٨)، وهو حديث ضعيف فيه مُحَمَّدُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحَنْظَلِيِّ وقد رواه عن أبيه عن عمران.

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النسائي: «مُحَمَّدُ بْنُ الزُّبَيْرِ ضَعِيفٌ لَا يَقُومُ بِمِثْلِهِ حُجَّةٌ، وَقَدِ اخْتُلِفَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ».

وقال: "وَقِيلَ: إن الزبير لم يسمع هذا الحديث من عمران بن حصين "

وهي فتوى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فزينب بنت أم سلمة، وحفصة، وابن عمر، رضي الله عنهم، أمروا ليلى بنت العجماء بالتكفير عن يمينها مع نذرها للعتق والصدقة، وهما قريتان؛ لأنها لم ترد بهما التبرر (الطاعة)، وإنما أرادت مجرد حمل النفس على الفعل.

قال ابن قدامة في المغني (١٣/٤٦١): «إذا أخرج النذر مخرج اليمين، بأن يمنع نفسه أو غيره به شيئًا، أو يحث به على شيء مثل أن يقول: إن كلمت زيدًا، فلله علي الحج، أو صدقة مالي، أو صوم سنة. فهذا يمين، حكمه أنه مخير بين الوفاء بما حلف عليه، فلا يلزمه شيء، وبين أن يحنث، فيتخير بين فعل المنذور، وبين كفارة يمين، ويسمى نذر اللجاج والغضب، ولا يتعين عليه الوفاء به»

وقال الصردي في المعاني البديعة (١/٤١٤): «مَسْأَلَةٌ: عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وعمر وابن عَبَّاسٍ وأبي هريرة وعائشة وحفصة وأم سلمة وَأَحْمَد وإِسْحَاق إذا نذر قربة في لجاج أو غضب، فإن قال: إن كلمت فلانًا فلله عليَّ صلاة، أو صدقة مالي، أو مالي في سبيل الله، أو صدقة فهو بالخيار بين كفارة يمين وبين الوفاء بما نذر.

وعند عَطاء يلزمه كفارة يمين، وله إسقاطها بأن يفي بما نذر إن كان أكثر من الكفارة، وإن كان أقل لم يكن له ذلك، وهو قول الشافعيِّ أيضًا.

وعند أبي حَنِيفَةَ يلزمه الوفاء بما نذر بكل حال، وهو قول للشافعي أيضًا.»

القسم الثاني: باعتبار متعلق النذر:

وينقسم إلى ثلاثة أقسام إجمالاً:

١. نذر الطاعة (سواء كانت واجبة عند من قال بجوازه، مثل أن يقول: لله عليَّ أن أصلي، أو أصلي في أول الوقت، أو مستحبة كصوم أو صلاة أو صدقة أو نحوها...)

حكمه: يجب الوفاء به إذا كان تحت الطاقة والسعة والقدرة، ولايجب الوفاء به إن خرج عنها، وكفارته كفارة يمين.

٢ . نذر المنهي عنه (سواء كان معصية كنذر شرب الخمر، أو نذر المرأة صوم أيام حيضها، أو مكروهًا كنذر صيام يوم الجمعة مفردًا)

حكمه: لا يجوز الوفاء به، قال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص ٢٥٩ الإجماع رقم: ١٠٠٧ بترقيمي): «واتفقوا أن من نذر معصية، فإنه لا يجوز له الوفاء بها.

واختلفوا أيلزمه لذلك كفارة أم لا.»

قلت: وفيه الكفارة لتعلق الإيجاب بالنفس عند ابن عباس وابن مسعود وعمران بن حصين وسمرة بن جندب رضي الله عنهم، وهو مذهب الحنفية وهو الراجح.

ـ لحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

"لا نذر في معصية، وكفارته كفارة اليمين» رواه النسائي (٣٨٣٤)، (قال الألباني: صحيح).

ـ وعن ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

«من نذر نذرًا لم يسمه فكفارته كفارة يمين

ومن نذر نذرًا في معصية فكفارته كفارة يمين

ومن نذر نذرًا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين

ومن نذر نذرًا أطاقه فليف به» رواه أبو داود (٣٣٢٢)

قال أبو داود: روى هذا الحديث وكيع وغيره عن عبد الله بن سعيد بن أبي الهند أوقفوه على ابن عباس.

ـ وذهب الجمهور المالكية والشافعية ورواية عن أحمد إلى أنه لا كفارة فيه وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

لحديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: سمعتُ رسولَ الله- صلى الله عليه وسلم- يقول:

«من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» أخرجه البخاري (٦٦٩٦، ٦٧٠٠)، وأبو داود (٣٢٨٩)، والترمذي (١٥٢٦)، والنسائي (٣٨٠٦)، وابن ماجه (٢١٢٦).

وليس في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ ذكر للكفارة، وأيضًا هذا النذر يجب على الناذر ألا يفي به، فلا ينعقد أصالة.

قال الصردي في المعاني البديعة (١/٤١٤): «مَسْأَلَةٌ: عِنْدَ الشَّافِعِيِّ

وَمَالك وبعض الصحابة والتابعين إذا كان المنذور لأجله معصية لم ينعقد، ولا يلزمه كفارة يمين.

وعند أبي حَنِيفَةَ وَأَحْمد وإِسْحَاق ومن الزَّيدِيَّة النَّاصر يلزمه كفارة يمين.»

- ومن نذر المعصية النذر للمشاهد والقبور، وهذا من الشرك الأكبر

- وأما النذر لله عند القبور أو في الأماكن التي يذبح فيها لغير الله فهو من ذرائع الشرك لذا ورد النهي عنه.

عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن ينحر إبلا ببوانة، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني نذرت أن أنحر إبلا ببوانة؟

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟

قالوا: لا.

قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟

قالوا: لا.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم.» حديث صحيح، رواه أبو داود (٣٣١٣).

وبوانة: هي هضبة من وراء ينبع قريبة من ساحل البحر، واسم موضع بأسفل مكة، والأول هو المراد، والله أعلم.

- أما إن تقرر التوحيد، واندرست هذه العبادات التي كانت يتقرب بها لغير الله، فإنه يجوز الذبح هنالك لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن امرأة أتت النبي-صلى الله عليه وسلم- فقالت: يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف.

قال: «أوفي بنذرك».

قالت: إني نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا - مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية..

قال: «لصنم».

قالت: لا.

قال: «لوثن». قالت: لا.

قال: «أوفي بنذرك». رواه أبو داود (٣٣١٢).

٣ - نذر المباح، كأن ينذر المشي أو لبس بعينه ونحوه.

حكمه: لا يجب الوفاء به، وليس فيه كفارة على الراجح.

لحديث عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله، وأمرتني أن أستفتي لها النبي- صلى الله عليه وسلم- فاستفتيته

فقال عليه السلام: «لتمش ولتركب». رواه البخاري (١٨٦٦)، ومسلم (٤٣٣٩).

وفي رواية: نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله حافية.

فلم يأمرها- صلى الله عليه وسلم- بوفاء ولا كفارة.

وعن ابن عباس قال: بينا النبي- صلى الله عليه وسلم- يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه؟ فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم.

فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «مره فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه.» رواه البخاري (٦٧٠٤)، وأبو داود (٣٣٠٠).

فأبو إسرائيل نذر أمورًا أربعة:

- أن يضحى في الشمس فلا يستظل، وهذا ليس مشروعًا.

- الصمت عن الكلام كله المباح وغيره، وهذا ليس مشروعًا في شرعنا.

- أن يقوم فلا يقعد، وهذا ليس مشروعًا التعبد به في غير الصلاة.

- ونذر أن يصوم، وهذا هو المشروع فيما نذر.

فأمره - صلى الله عليه وسلم - بالمشروع منها، ورد عليه باقيها.

وهل يجوز له الوفاء بالمباح؟

الإجابة: نعم، لحديث عبد الله بن عمرو السابق، ولحديث بريدة - رضي الله عنه - قال: خرج رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فى بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله: إنى كنت نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى.

فقال لها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «إن كنت نذرت فاضربى وإلا فلا».

فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب، ثم دخل على وهى تضرب، ثم دخل عثمان وهى تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها ثم قعدت عليه.

فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر إنى كنت جالسًا وهى تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب، ثم دخل على وهى تضرب، ثم دخل عثمان وهى تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف». رواه الترمذي (٣٦٩٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة.

القسم الثالث: باعتبار اللفظ وهو ينقسم إلى أربعة أقسام إجمالاً:

١- نذر ما لم يسم (نذر المبهم) كأن يقول: لله عليَّ نذر، ولا يسميه.

حكمه: فيه كفارة يمين لحديث

ابن عباس السابق.

٢ . النذر المقيد، كأن يقول: لله علي نذر كذا، ويذكر متعلقه سواء طاعة أو منهي عنه أو مباح.
حكمه: حكم متعلقه وقد سبق.

٣ . النذر المنجز: وصورته في المثال السابق، وحكمه، حكم متعلقه كما سبق.

٤ . النذر المعلق: وصورته أن يقول مثلاً إن حدث كذا فلله عليَّ نذر كذا.
حكمه: مكروه كما سبق، ويجب الوفاء به إن كان نذر تبرر (طاعة) تحت الطاقة والسعة وإلا ففيه كفارة يمين.

والخلاصة:

أن النذر الذي يجب الوفاء به: نذر الرضى للقُرَب التي تحت الوسع سواءً كان منَجَّزاً أو معلقاً، فإن طرأ عليه ما يعجزه عن الوفاء كمرض لا يرجى برؤه أو شيخوخة أو نحوها، فكفارته كفارة يمين.

وعدم الوفاء بالنذر، محرم.

قال تعالى: «وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ» (التوبه: ٧٥- ٧٨).

الوفاء بنذر الميت الذي مات قبل الوفاء به.

من نذر نذرًا من جنس القربات المالية كالصدقة، أو المالية البدنية كالحج والعمرة، أو الصوم خاصة من العبادات البدنية المحضة، جاز الوفاء عنه بنذره، أما الصلاة من العبادات البدنية فلا يجوز بإجماع.

عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟

قال: نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء». رواه البخاري (١٨٥٢).

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- أن امرأة أتت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر؟

فقال: أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟

قالت: نعم.

قال فدين الله أحق بالقضاء. رواه البخاري (١٩٥٣)، ومسلم (١١٤٨).

قال النووي في شرح مسلم (١٤٤/٤):

«اختلف العلماء فيمن مات وعليه صوم واجب من رمضان، أو قضاء أو نذر أو غيره، هل يقضى عنه؟

وللشافعي في المسألة قولان مشهوران:

أشهرهما: لا يصام عنه، ولا يصح عن ميت صوم أصلاً.

والثاني: يستحب لوليه أن يصوم عنه، ويصح صومه عنه ويبرأ به الميت، ولا يحتاج إلى إطعام عنه.

وهذا القول هو الصحيح المختار الذي نعتقده، وهو الذي صححه محققو أصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة.

. وأما الحديث الوارد " من مات وعليه صيام أطعم عنه " فليس بثابت، ولو ثبت أمكن الجمع بينه وبين هذه الأحاديث بأن يحمل على جواز الأمرين، فإن من يقول بالصيام يجوز عنده الإطعام، فثبت أن الصواب المتعين تجويز الصيام، وتجويز الإطعام، والولي مخير بينهما.

. والمراد بالولي القريب، سواء كان عصبة أو وارثا أو غيرهما

وقيل: المراد الوارث، وقيل: العصبة، والصحيح الأول

. ولو صام عنه أجنبي إن كان بإذن الولي صح وإلا فلا في الأصح، ولا يجب على الولي الصوم عنه، لكن يستحب.

. هذا تلخيص مذهبنا في المسألة، وممن قال به من السلف: طاووس والحسن البصري والزهري وقتادة وأبو ثور، وبه قال الليث وأحمد وإسحاق وأبو عبيد في صوم النذر دون رمضان وغيره.

. وذهب الجمهور إلى أنه لا يصام عن ميت لا نذر ولا غيره، حكاه ابن المنذر عن ابن عمر وابن عباس وعائشة، ورواية عن الحسن والزهري، وبه قال مالك، وأبو حنيفة، قال القاضي عياض وغيره: هو قول جمهور العلماء، وتأولوا الحديث على أنه يطعم عنه وليه.

وهذا تأويل ضعيف، بل باطل، وأي ضرورة إليه وأي مانع يمنع من العمل بظاهره مع تظاهر الأحاديث، مع عدم المعارض لها.

. قال القاضي وأصحابنا:

. وأجمعوا على أنه لا يصلى عنه صلاة فائتة.

. وعلى أنه لا يصام عن أحد في حياته، وإنما الخلاف في الميت. والله أعلم.»

فائدة:

هذا ما يسره الله فإن كان صوابًا ففضل من الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

حوار مع الرئيس العام لأنصار السنة المحمدية
الدكتور عبدالله شاكر الجنيدي
بشأن الأحداث الجارية

في مطلع عام هجري يهل علينا، ولا يعلم ما فيه إلا علام الغيوب، ندعو الله العلي القدير أن يكون عام خير ووحدة ونصر وتمكين لمصرنا الغالية، ولأمتنا الإسلامية، التي تعيش فترة زمنية من أحلك فتراتها.

وكذلك تمر مصرنا الغالية بمنعطفات خطيرة، تجعل الإنسان منا يترقب ما حوله، متابعًا الأحداث والمنعطفات والتقلبات، فكان لزامًا علينا أن نستجلي الكثير من هذه الأمور في حوار يتسم بالشفافية، وذلك من خلال حديثنا عن الكثير مما يدور بخلد كل مسلم، أو من كان يتوق إلى التعرف على آراء ومواقف جمعية أنصار السنة، نستجلي الحقائق، ونتعرف على المواقف والآراء من خلال حوار مع المسئول الأول عن جمعية أنصار السنة المحمدية، الرئيس العام الدكتور عبد الله شاكر الجنيدي، حيث دار الحوار التالي:

إعداد: رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

أنصار السنة جماعة دعوية ليس لها علاقة بالأمور السياسية

التوحيد: نعلم من خلال تصريحاتكم وكتاباتكم المختلفة أنكم دائمًا ترددون أنكم جمعية دعوية لا علاقة لها بالممارسات السياسية، فهل ما زلتم تتبنون هذا الاتجاه مع ما ترونه من متغيرات على الساحة؟

يقول الرئيس العام: إنَّ ما أعلناه وتفضلتم بذكره من بيان (أننا جماعة دعوية لا علاقة لنا بالممارسات السياسية) إنما هو منهج وأصل، عليه قامت دعوتنا المباركة، منذ نشأتها من قرابة المائة عام، وعليه فهذا الأصل بالنسبة لنا ثابت من الثوابت، لذا ظلت الجماعة على هذا المنهج لم تغيره منذ نشأتها مع مرور المجتمع من حولها بمتغيرات شتى، وليس أدل على ذلك مما حدث من حولنا من أحداث في الفترة الزمنية الماضية، والتي عشناها جميعًا، وتهافت الناس فيها على تعاطي السياسة وممارستها، وظللنا نحن على منهجنا الذي أعلناه مرارًا، لم نغيره، بل وأكدنا على هذا المنهج في هذه الفترة فأعلنا أننا لن نؤسس حزبًا، ولن ندعم أحزابا، فنحن جمعية دعوية، وهذا الوقت (كما تعلمون) كانت ممارسة السياسة كلأً للجميع، حتى سمعنا عن نوادر في أناس شاركوا فيها لم يخطر ببالنا أن لأمثالهم بها صلة.

إذن: فهذا الأصل نتبناه عن قناعة حتى نكاد نقول: إنه من ضرورات دعوتنا.

التحليل والتحريم حق خالص لله عز وجل

التوحيد: وهل بعدكم عن الممارسات السياسية، وإصراركم على هذا يعني أنكم تحرمونها؟

ويرد الدكتور عبد الله شاكر قائلاً: أولاً: لفظ (تحرمونها) يحتاج إلى تعديل، فيمكنك أن تقول سائلاً: (تفتون بتحريمها؟) فنحن لا نحرم ولا نحلل، ولا يحق لنا، ولا لغيرنا أن يفعل ذلك، فالتحليل والتحريم إنما هو تشريع وهو حق خالص لله عز وجل، أما الفتوى فهي مجرد إظهار لحكم الله عز وجل الذي حكم به،

أنصار السنة جماعة دعوية لا علاقة لها بالممارسات السياسية، وهذا منهج قامت عليه الجماعة منذ ما يقرب من مائة عام.

لذا فإن هذا المفتي إنما هو عبد لله عز وجل، ينقل شرع الله للناس، لذا فله ضوابط وأصول يتحرك من خلالها، فلا يحل له أن يفتي في دين الله إلا بعلم، وبما يوافق أصول وضوابط الفتوى عند أهل العلم، فالمفتي الذي يبلغ الناس الحلال والحرام، إنما يبلغ عن الله عز وجل، لأجل هذا قد وسم الإمام ابن القيم من يقوم بهذه المهمة أنه يوقع عن الله في الأرض، فعنون لكتاب له بعنوان «إعلام الموقعين عن رب العالمين» ومن هنا فإننا نناشد من يتعرضون للفتيا أن يراعوا تقوى الله عز وجل، وذلك لا شك بعد توفر شروط الفتوى فيمن يفتي، عن تحصيل علمي مؤهل بشروطها، وأسبابها، ومراعاة التخصص، وإجازة أهل العلم لهم بذلك.

ثانيا: ليس معنى أننا لا نمارس السياسة أننا نرى تحريمها أبدًا، ولكن باختصار شديد نحن دعاة إلى الله، والداعي لابد أن يكون على مسافة واحدة من الجميع، ليتمكن من إيصال الدعوة إليهم، ولا شك أن السياسة تحمل التباين والاختلاف في وجهات النظر، فضلاً عن أنها متغيرة، وبالتالي فإن الذي يمارس السياسة من الدعاة لا شك أنه سيخسر شريحة كبيرة من الناس تختلف معه في وجهة النظر السياسية، فتصعب عليه مهمة دعوتهم، والتي هي مهمته الأساسية، هذا فضلاً عن أننا لا نحسن السياسة، والذي لا يحسن الشيء أفضل له أن يبتعد عنه، حتى لا يضر نفسه ويضر غيره.

نرفض الإرهاب بشتى صوره ونعو للاستقرار والمحافظة على الأمن

التوحيد: تذكرون أنكم لا علاقة لكم بالممارسات السياسية، ثم إننا نجد لكم من آن لآخر بعض البيانات التي تدينون فيها الإرهاب بشتى صوره، وأنكم لن تسمحوا بمحاولات هدم مصر، أليس هذا نوعًا من الممارسات السياسية؟

ويجيب الدكتور عبد الله: أولاً: أود أن أوضح العبارة التي تفضلتم بذكرها وهي قولنا: (لن نسمح بمحاولات هدم مصر) هي عبارة نشرت على لسان الأمين العام في بعض الجرائد، ولا يفهم من معناها أن لنا من السلطة التي بها نقاوم هذه الجماعات الإرهابية، ولكن معناها أننا سنقاومهم دعويًا ببيان الحق للناس، وأن الذي يستغل الدين استغلالاً خاطئًا لهدم البلد، وتقويض أمنها واستقرارها، هو في الحقيقة مخالف لدين الله مخالفة صريحة، معتد على حق الإنسان في أمنه، فكيف يتسنى للعبد أن يعبد الله عز وجل وهو غير آمن؟!

ثانيا: إن ديننا وشريعتنا الغراء جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فأينما وجدت المصلحة فثمَّ شرع الله، لذا جاءت الشريعة لتحافظ للناس على دينهم، وأنفسهم، وعقولهم، وأعراضهم، وأموالهم، فكل محارب لهذا مانع له، هو في الحقيقة محارب للدين.

ومما سبق يتبين أن إدانتنا للإرهاب بشتى صوره، ومواطنه، ودعوتنا للاستقرار، والمحافظة على الأمن بما يتناسب مع إمكانياتنا كدعاة، هي من صميم الدين الذي نتعبد به لربنا، والذي يحكم جميع مناحي الحياة، وهذا لا علاقة له بالممارسات السياسية من قريب ولا من بعيد.

ليس لنا مرشحون لمجلس الشعب

التوحيد: إذن: ومن قبيل منهجكم هذا في المحافظة على مصلحة البلد هل ستشاركون في

ندين الإرهاب بشتى صوره، وندعو للاستقرار والمحافظة على الأمن، فديننا وشريعتنا قد جاءت لتحصيل المصالح، وتعطيل المفاسد.

الانتخابات البرلمانية من خلال مرشحين من أنصار السنة؟

ويرد فضيلته بنبرة تخلو من الهدوء قائلاً قولاً واحدًا لا يحتمل التفكير والتأويل: لا ليس لنا مرشحون لمجلس الشعب، ولا نسمح بذلك، والسبب بسيط جدًا؛ هو أننا نرى أن هذه المشاركة هي ممارسة سياسية، تتعارض مع طريقنا الذي اخترناه، وهو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والتي هي على مسافة واحدة من الجميع، وهذا لا يعني السلبية، فنحن سنشارك، ولكن سنشارك كمواطنين، لنا حق اختيار القوي الأمين، الذي نتوسم فيه العمل لتحقيق مصالح البلاد والعباد.

الممارسات السياسية تعطل الدعوة إلى الله عز وجل

التوحيد: ذكرتم أنكم لا مرشحين لكم، ولا تسمحون بذلك، ولكن الواقع قد يتعارض مع كلامكم، فقد سمعنا عن مرشح أو أكثر على المقاعد الفردية ممن ينتسبون لأنصار السنة فما تعليقكم؟

ويجيب الدكتور عبد الله: نحن جمعية دعوية تدعو إلى الكتاب والسنة، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والوصول إلى تحقيق الحكمة من الخلق من عبودية الإنسان لربه بأيسر الطرق، تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم، لذا فقد منَّ الله علينا واقتنع بمنهجنا كثير من الناس، بل وصاروا دعاة إلى الله بنفس هذا المنهج الذي اقتنعوا به، فصار انتسابهم لأنصار السنة من هذه الوجهة، ولكن مثلهم مثل أي مواطن قد يرى من نفسه القدرة على خدمة بلده في هذا المجال، ونحن في هذا لا نجرمه، ولكن ننصحه بالإعراض عن هذا؛ لأن ذلك يتعارض مع منهجنا الدعوي، فإن استجاب فبها ونعمت، وإلا كان عمله شخصيًا يتحمل مسئوليته وحده، ولا يعبر عن منهجنا، حتى لا ينسب إلى الجمعية أي ممارسات سياسية تعطل دعوتها إلى الله.

لتشابه الأحداث، نتكلم أحيانًا، ونسكت أخرى

التوحيد: بعض الناس يقولون أنكم تتكلمون وتخرجون ببيانات في بعض المواقف، ثم تسكتون عن مواقف أخرى ينتظرون كلامكم فيها، فينكرون عليكم هذا، فما تعليقكم؟

يقول الدكتور عبد الله: أولاً: نحن دعاة إلى الله، ومن مهام الداعية بيان صحيح الدين للناس تجاه ما يحدث حوله من أحداث، لكن ليست هذه هي كل مهام الداعية، بل هي جزء بسيط من مهامه، فمهمته الأولى هي كما ذكرت سالفًا، هي دعوة الناس العامة الشاملة للعمل بالكتاب الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة، بالحكمة والموعظة الحسنة، وسلوك أيسر الطرق لتحقيق ذلك، لذا فإننا ننشط أحيانًا في بعض المواقف، فنبين للناس موقف الإسلام تجاه بعض الأحداث، ثم ننصرف بعد ذلك إلى مهامنا الدعوية الأساسية، ولو أننا تتبعنا كل الأحداث ما استطعنا أن نمارس مهامنا الدعوية؛ لأنك كما تعلم وترى تجد أن الأحداث يومية ومتلاحقة، لكننا نحرص عندما نبين من آن لآخر أن يكون بياننا عامًا شاملاً صالحًا لما حدث، أو ما قد يحدث، على قدر استطاعتنا؛ لأن ما نتكلم به هو دين، والدين قواعده وأصوله ثابتة ولتشابه الأحداث ومراعاة باقي المهام نتكلم أحيانًا ونسكت أخرى.

التوحيد: البعض يفسر سكوتكم هذا نوع من

أنصار السنة ليس لها مرشحون لمجلس الشعب، ولا ندعم أحدا بعينه، ونحن نرى هذه المشاركة هي ممارسة سياسية تتعارض مع طريقنا الدعوي الذي اخترناه.

أنواع التخاذل، فما تعليقكم؟

نقول لهم: نحن نحبكم في الله، ونحمد غيرتكم على دينكم، لكن الغيرة والمشاعر التي لا تنضبط بشرع الله عز وجل، قد تنحرف بصاحبها إلى طريق لا يعلمه إلا الله، فشرع الله بعيد عن الانفعالات الحماسية، والمشاعر غير المنضبطة، وما ضل من ضل من الفرق إلا بمثل هذا.

إذن.. نقول لهؤلاء الأفاضل: قلوبنا مفتوحة للجميع، واسمعوا منا، لا تسمعوا عنا، ونحن نرحب بكم في أي وقت، وشرع الله يسعنا جميعًا، والحمد لله، ونحن إذ ننصح لغيرنا فإننا نشكر ونرحب بمن يسدي إلينا النصح، أو يهدي لنا عيبًا، لكن شريطة أن يكون تحت مظلة الشرع.

التوحيد: تذكرون أنكم جمعية دعوية مهمتكم الدعوة إلى الله، ألا ترون أن هذه المهمة قد تعطلت بسيطرة الأوقاف على كل مساجد البلد ؟

يقول الدكتور عبد الله: بداية نحن نتحفظ على كلمة «سيطرة»؛ لأن الأوقاف لا تسيطر على بيوت الله، ولا يسيطر عليها أحد، ولكن وزارة الأوقاف تشرف على المساجد، وهذا دورها ووظيفتها، وهي الأمانة التي سيسألها الله عنها، ونحن كجمعية دعوية تحتسب دورها الدعوي إلى الله، نرى أننا مكملون لهم في دورهم، فهم الجهة المكلفة رسميًا بهذا الدور من قبل الدولة، ونحن الجهة الأهلية المتطوعة المصرح لها رسميًا من جهة الدولة، بالمعاونة والتعاون مع وزارة الأوقاف في القيام بهذا الدور للوصول في النهاية إلى تحقيق المصلحة الشرعية على أكمل وجه.

التعاون بين أنصار السنة وبين الأزهر والأوقاف قائم على مر العصور

التوحيد: ذكرتم أنكم مصرح لكم رسميًا من الدولة بمعاونة وزارة الأوقاف في مهمتها الدعوية، فكيف يتفق هذا مع ضوابط الوزارة وشروطها، فيمن يمارس مهام الدعوة إلى الله؟ ألا ترون فيها عائقًا لكم، وحائلاً دون تحقيق هذا التعاون؟

يقول الدكتور عبد الله: إن المطلع على تاريخ الجماعة منذ نشأتها يجد هذا التعاون والاتفاق والتسديد بين الجمعية وبين وزارة الأوقاف المعنيين بالدعوة إلى الله، بل وقبل ذلك مع شيوخ الأزهر الشريف وعلمائه، الذين هم شيوخ الأوقاف والدعاة إلى الله في جميع أنحاء بلدنا العامر، وليس أدل على ذلك في وقتنا الحاضر من تصريح وزارة الأوقاف، بل وترحيبها بفتح معاهد إعداد الدعاة الخاصة بالجمعية في جميع أنحاء الجمهورية تحت إشرافها ومساعدتها لنا.

التحذير من أصحاب الأفكار المنحرفة

التوحيد: انتقالاً من دوركم داخل البلد إلى دوركم الدعوي، وتاريخكم على المستوى الإسلامي عمومًا، ألا ترون أن إنكاركم للأفكار والعمليات الإرهابية في بياناتكم المختلفة والتي اطلعنا عليها لا يتناسب مع دوركم العلمي والدعوي على مستوى العالم الإسلامي؟

يقول الدكتور عبد الله شاكر: نحن كجمعية دعوية نشأت وترعرعت وكتب الله لها القبول والانتشار في رحم دولتنا المصرية، نرى أن من منهجها في الدعوة إلى الله أننا كما ندعو الناس إلى توحيد ربهم عز وجل، واتباع سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فإننا ندعوهم

الغيرة والمشاعر التي لا تنضبط بشرع الله عز وجل، قد تنحرف بصاحبها إلى طريق لا يعلمه إلا الله، فشرع الله بعيد عن الانفعالات الحماسية والمشاعر غير المضبطة.

للمحافظة على بلدهم، لذا كانت عنايتنا ببلدنا التي نحيا نحن عليها، وتحيا هي في قلوبنا، لكننا ومع هذا لا ننسى ولا نهمل- على قدر وسعنا- التحذير من مثل هذه الأعمال الإرهابية، والأفكار المنحرفة، التي قد تقع في أي قطر من الأقطار الإسلامية لأننا نرى أن إنكار مثل هذه الأفكار، والتحذير منها هو واجب شرعي، ومطلب ديني، ومن الثوابت المنهجية العقدية التي لا تتغير ولا ترتبط بقطر دون آخر، ومن أمثلة؛ ذلك ما كتبناه مرارًا عن هؤلاء الذين سموا أنفسهم بالدواعش، الذين أباحوا لأنفسهم قتل المسلمين وغيرهم، واستباحوا أموالهم، وأعراضهم، وديارهم، أي دين دعاهم إلى هذا، كما كتبنا وحذرنا مرارًا من الأفكار التكفيرية، والتي هي الأصل الذي أوصل مثل هؤلاء، ومن على شاكلتهم، إلى ما وصلوا إليه من انحراف وضلال، لكننا مع هذه الكتابات والصيحات التحذيرية نعترف بتقصيرنا وضعفنا، والله نسأل أن يعيننا على القيام بما يحبه ويرضاه.

علاقتنا بفروعنا تتسم بالترابط المبني على المحبة في الله ووحدة المنهج

التوحيد: ذكرتم أنكم اتفقتم مع وزارة الأوقاف على استمرار معاهدكم الدعوية في جميع فروعكم، وهل في ظل هذه المتغيرات لا زالت سيطرتكم على الفروع مستمرة؟

يقول الدكتور عبد الله شاكر: نحن لا زلنا نتحفظ على كلمة سيطرة، فنحن لا سيطرة لنا على أحد، ولكن يمكنك أن تقول: علاقتكم بالفروع تحافظون عليها؟ عندئذ أقول: علاقتنا بأبنائنا وإخواننا في الفروع هي علاقة تتسم بالترابط المبني على الحب في الله، وذلك لأنها مبنية على الاعتقاد، وعلى المنهج الواحد، المنبثق من الكتاب والسنة، ونحن في ظل هذه المتغيرات التي نجدها على الساحة لا نرى من علاقتنا بفروعنا إلا أنها تزداد ترابطًا يومًا بعد يوم، ذلك لشعورهم ولتأكدهم كل يوم من صحة المنهج الذي اعتقدوه، ودعوا إليه وليس أدل على ذلك من التواصل المستمر مع كل الفروع والمشورات التي تأتي من إخواننا وزياراتنا لهم أو زيارتهم لنا بين الحين والآخر، على قدر المستطاع.

مجلة التوحيد لسان حال أنصار السنة ومنبرها الدعوي والإعلامي

التوحيد: والآن وبخصوص مجلة التوحيد، يشاع أن الأعداد الشهرية التي تطبعونها تراجعت عما كانت عليه من قبل، وبعض الناس يرجع هذا التراجع إلى موقف وزارة الأوقاف مؤخرًا من المجلة، وبعضهم يرجعه إلى تقاعس بعض الفروع عن توزيع المجلة، فما تعليقكم على هذا؟

يقول د. عبد الله: أولاً: مجلة التوحيد هي لسان حال الجمعية، وهي من أهم منابر الدعوة إلى الله، التي منَّ الله علينا بها، والحمد لله الصحافة الإسلامية في أنصار السنة عمرها الآن يزيد على التسعين عامًا في بلدنا العامر، ومنهجها واضح، وهو منهج الجماعة الذي أشرنا إليه في غير ما موطن.

ثانيًا: هذه المجلة الرسمية نحرص على إيصالها إلى أغلب الجهات الرسمية في بلدنا (شهريًا) ساعد على ذلك ما نجده من ترحيب، وتشجيع، وثناء من هذه الجهات على مجلة التوحيد وعلى منهجها، إذن فدعوى أن لوزارة الأوقاف موقفًا، كان سببًا أو عائقًا أمام انتشار المجلة غير صحيح، ونجد من إخواننا في الوزارة كل ترحيب وثناء، فجزاهم الله خيرًا.

أنصار السنة حذرت مرارا وتكرارا من أصحاب الأعمال الإرهابية، والأفكار المنحرفة التي تقع في مصر أو في أي قطر من الأقطار الإسلامية. فالتحذير منها واجب شرعي ومطلب ديني.

ثالثًا: إن مثل هذه الشائعات التي ذكرتموها في صدر سؤالكم، والتي تتردد على ألسنة البعض تجعلني أقول: إن المجتمع المصري كما أنه مجتمع مملوء بالنفوس الطيبة المحبة للخير والاستقرار، فقد تجد فيه بعض النفوس التي تحب وتسعى لنشر الشائعات، وما ذكرته أنت هو من قبيل ذلك، فالله نسأل لنا ولهم الهداية والرشاد.

رابعًا: أما فيما يخص الفروع، فإخواننا في الفروع بَشَرٌ، يعتريهم ما يعتري البشر، من النشاط أحيانًا، وعكسه أحيانًا أخرى، ولعلك تلحظ الأحداث المتسارعة والمستجدات على الساحة في المجتمع الذي نعيشه، فلعل هذا كان سببًا في تقاعس بعضهم عن نشاطهم الذي كانوا عليه من قبل، في توزيعهم لمجلتهم، لسان حالهم المعبرة عن منهجهم، ونحن إذ نذكر ذلك فإننا نذكر إخواننا وأبناءنا في الفروع بأهمية عودتهم إلى سابق نشاطهم، من نشر هذه المجلة الدعوية الهامة، التي تدعو إلى توحيد الله عز وجل، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، والدعوة إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، واتباع أيسر الطرق لتحقيق ذلك، والتي هي- ولا شك- بمثابة الصدقة الجارية، نسأل الله العظيم أن يجعلها في ميزان حسناتنا جميعًا.

خامسًا (وأخيرًا): فبشأن تراجع الأعداد عمومًا، فهذا ليس في مجلة التوحيد فحسب، بل هي ظاهرة في الصحف المقروءة عمومًا، حيث إن كثيرًا من الصحف العالمية المشهورة قد توقفت، وأغلقت أبوابها في ظل تأثير عوامل كثيرة، وتقنيات حديثة، حدَّتْ كثيرًا من إقبال الناس على المطبوعات المقروءة، إضافة إلى الأحداث المتلاحقة في أنحاء العالم، والتي جعلت الناس يهتمون أكثر بالتقنيات الإعلامية الأخرى السريعة في نقل الأحداث، ولم يعد هناك وقت كاف للقراءة، بل أصبح العزوف سمة لكثير من النَّاس في العالم أجمع، إلا من رحم ربي، ومع هذا فإن استقراءنا للأحوال، وتتبعنا لهذه الظاهرة في الصحف عامة نجد أن مجلتنا هي من أفضل المجلات وأوسعها انتشارًا، ولا أتجرأ فأقول: أفضلها على الإطلاق، ومع هذا وذاك فإننا بحمد الله بصدد إعداد خطة قوية شاملة، لإعادة المجلة لسابق عهدها وأفضل إن شاء الله، ونسأل الله التوفيق للجميع لما يحبه ويرضاه.

نصيحة توجهونها إلى شعب مصر (عامة) وأنصار السنة (خاصة)

التوحيد: وأخيرًا: هل من نصيحة للشعب المصري (عامة) وأبنائكم في أنصار السنة (خاصة)؟

يقول الدكتور عبد الله: نصيحتنا للمسلمين (عمومًا) هي تقوى الله عز وجل، فهي وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ» (النساء:١٣١).

وللشعب المصري (خاصة): المحافظة على بلدكم، واستقرارها، فمناخ الاستقرار هو مناخ لازم لعبادة الله عز وجل، وعمارة الأرض، ففضل بلدكم عليكم كبير.

وأخيرًا: لأبناء الجمعية: حافظوا على جمعيتكم الدعوية، التي منَّ الله عليكم بها، وعلى منهجها المبارك، الذي أسسها عليه علماؤها الأوائل، وعلى مجلتكم التي هي لسان حال أنصار السنة والناطقة باسمها.

نسال الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا وإياكم البر والتقوى، وأن يحفظ بلادنا، وبلاد المسلمين من كل مكروه وسوء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ثمرات الإخلاص

«الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (فاطر:١)، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً أما بعد:

إعداد/ صلاح نجيب الدق

فإن الإخلاص هو أساس قبول الأعمال الصالحة عند الله تعالى، فالعبادة بدون إخلاص عبادة مردودة على صاحبها.

من أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بحقيقة الإخلاص وبعض ثمراته في الدنيا والآخرة.

فأقول وبالله التوفيق:

معنى الإخلاص:

الإخلاص في اللغة:

الإِخْلاصُ: مُشْتَقٌّ من مادة خَلَصَ ومعناها تَنْقِيَةُ الشَّيْءِ وَتَهْذِيبُهُ. (مقاييس اللغة لابن فارس جـ٢صـ٢٠٨)

الخَالِصُ: الصَّافِي. يُقَالُ: خَلَصَ المَاءُ مِنَ الكَدَرِ: أَيْ أَصْبَحَ صَافياً. (المصباح المنير للفيومي صـ١٧٧)

الإخلاص في الشرع:

الإِخْلاَصُ: هُوَ أن يَقْصِدَ المسْلِمُ بِعَمَلِه رضا الله تعالى والتقرب إليه وحده. (مدارج السالكين لابن القيم جـ٢صـ٩١)

عدد مشتقات كلمة الإخلاص في القرآن:

جاءت كلمة الإخلاص بمشتقاتها المختلفة في القرآن الكريم ثلاثون مرةً. (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن صـ٢٣٨)

الفرق بين الإخلاص والصدق:

(١) الصدق أصلٌ؛ وهو الأول، والإخلاص فرعٌ؛ وهو تابع.

(٢) الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل، وأما الصدق فيكون بالنية قبل الدخول في العمل. (التعريفات للجرجاني صـ١٤)

الإخلاص وصية رب العالمين:

(١) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) (البينة:٥)

(٢) قال سبحانه لنبينا صلى الله عليه وسلم: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام:١٦٢: ١٦٣)

(٣) وقال الله تعالى: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) (الزمر:١: ٣)

(٤) وقال جل شأنه: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) (الزمر:١١: ١٢)

(٥) قال سُبحانه: (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (غافر:١٣: ١٤)

(٦) وقال تعالى: (هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (غافر:٦٥)

الإخلاص من صفات الأنبياء:

(١) قال الله تعالى: (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ) (ص:٤٥: ٤٧)

(٢) وقال سبحانه عن يوسف صلى الله عليه وسلم (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف٢٣: ٢٤)

(٣) وقال جلّ شأنه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم: ٥١)

الإخلاص شرط لقبول الأعمال الصالحة:

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)

قال الإمامُ ابنُ كثير(رحمه الله): هذان رُكْنا العَمَل المُتقبَّل. لا بُدَّ أَنْ يكونَ خالصًا لله،صوابًا على شَرِيعَةِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم.

(تفسير ابن كثير جـ٩صـ٢٠٥)

(١) عن عُثْمَانَ بْن عَفَّانَ قَالَ: قَالَ رسُول صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِه وَجْهَ الله بَنَى اللهُ لَهُ مثْلَهُ فِي الْجَنَّة.

(البخاري حديث ٤٥٠ / مسلم حديث٥٣٣)

(٢) عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعرِي قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتلُ حَميَّةً، وَيُقَاتلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتلُ رِيَاءً(ليراه الناس ويثنوا عليه)، فَأَيُّ ذلكَ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لتَكُونَ كَلمَةُ الله هيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبيلِ الله».

(البخاري حديث: ٧٤٥٨/مسلم حديث: ١٩٠٤)

(٣) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهلِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ،صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لا شَيْءَ لَهُ» فَأَعَادَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: «لا شَيْءَ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الله لا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلا مَا كَانَ لَهُ خَالصًا، وَابْتُغِيَ بِه وَجْهُهُ» (حديث حسن صحيح) (صحيح النسائي للألباني جـ٢صـ٣٨٣)

"الإخلاص والمتابعة ركنا عمل المرء ، لايقبل الله تعالى عملاً سقط منه أحد الركنين."

نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على الإخلاص:

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله، صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَكَفَّلَ اللهُ لمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيله، لا يُخْرِجُهُ إِلا الْجِهَادُ فِي سَبِيله، وَتَصْدِيقُ كَلمَاته بِأَنْ يُدْخلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجعَهُ إِلَى مَسْكَنه الَّذي خَرَجَ منْهُ، مَعَ مَا نَالَ منْ أَجْرٍ أَوْ غَنيمَةٍ»

(البخاري حديث: ٣١٢٣ /مسلم حديث: ١٨٧٦)

(٢) عَنْ أَنَس بْن مَالك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصبْهُ» (مسلم حديث: ١٩٠٨)

(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم: " قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاء عَنِ الشِّرْك، مَنْ عَملَ عَمَلاً أَشْرَكَ فيه مَعي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشرْكَهُ " (مسلم حديث: ٢٩٨٥)

(٤) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِم قَالَ: قَامَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ بِالْخَيْف مِنْ منى، فَقَالَ: " نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي، فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامل فقه، غَيْرُ فَقيه، وَرُبَّ حَامل فقه إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ منْهُ، ثَلاثٌ لا يُغلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمنٍ: إِخْلاصُ الْعَمَل لله، وَالنَّصيحَةُ لوُلاة الْمُسْلمينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتهمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ، تُحيطُ منْ وَرَائهمْ "(حديث صحيح) (صحيح ابن ماجه للألباني حديث: ٢٤٨٠)

أقوال السلف الصالح في الإخلاص:

(١) قَالَ مَكْحُولُ الشَّامي: مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ قَطّ أَرْبَعينَ يَوْمًا إِلاَّ ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحكْمَة منْ قَلْبه عَلَى لسَانه. (مدارج السالكين لابن القيم جـ٢صـ٩٦)

(٢) قَالَ الْجُنَيْدُ: الإِخْلَاصُ سِرٌّ بَيْنَ الله وَبَيْنَ الْعَبْد. لَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ فَيَكْتُبُهُ، وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسدُهُ. وَلَا هَوًى فَيُميلُهُ. (مدارج السالكين لابن القيم جـ٢صـ٩٥)

(٣) قَالَ يُوسُفُ بْنُ الْحُسَيْن: أَعَزُّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا: الإِخْلَاصُ. وَكَمْ أَجْتَهدُ فِي إِسْقَاط الرِّيَاء عَنْ قَلْبِي. فَكَأَنَّهُ يَنْبُتُ عَلَى لَوْنٍ آخَرَ. (مدارج السالكين لابن القيم جـ٢صـ٩٦)

(٤) قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانيّ: إِذَا أَخْلَصَ الْعَبْدُ انْقَطَعَتْ عَنْهُ كَثْرَةُ الْوَسَاوس وَالرِّيَاء. (مدارج السالكين لابن القيم جـ٢صـ٩٦)

(٥) قال ابنُ القيم: الْعَمَل بِغَيْر إخلاص وَلا اقْتداء كالمسافر يَمْلأُ جرابه رملا يُثْقلُهُ وَلاَ يَنْفَعهُ. (الفوائد لابن القيم صـ٤٩)

(٦) قَالَ بَعْضُ السَّلَف: الإِخْلَاصُ أَنْ لَا تَطْلُبَ عَلَى عَمَلكَ شَاهدًا غَيْرَ الله، وَلَا مُجَازيًا سوَاهُ. (مدارج السالكين لابن القيم جـ٢صـ٩٥)

(٧) قَالَ بَعْضُ السَّلَف: الإِخْلَاصُ

نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق. (مدارج السالكين لابن القيم جـ٢صـ٩٥)

(٨) قيل لسهل بن عبد الله التستري: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب. (مدارج السالكين لابن القيم جـ٢صـ٩٥)

الإخلاص يعصم المؤمنين من الشيطان:

قال سبحانه: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (ص: ٧٥: ٨٣)

الإخلاص يرفع درجات المسلم في الجنة:

عن سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا» فقلت: بالشطر؟ فقال: «لا» ثم قال: «الثلث والثلث كثير،إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في امرأتك» فقلت: يا رسول الله، أخلف(أبقى في مكة) بعد أصحابي؟ قال: «إنك لن تخلف (أي سوف يطول عمرك) فتعمل عملا صالحا إلا ازددت به درجة ورفعة، ثم لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام، ويضر بك آخرون، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم. (البخاري حديث: ١٢٩٥/مسلم حديث: ١٢٥٠)

> ”الإخلاص سر بين الله وبين العبد. لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده. ولا هوى فيميله.“

إخلاص النية سبيل الحسنات:

(١) عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» (البخاري حديث: ٥٤/ مسلم حديث: ١٩٠٧)

(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة، فقال: «إن بالمدينة أقوامًا، ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر»(البخاري حديث: ٤٤٢٣)

(٣) عن أبي الدرداء، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه عز وجل.» (حديث صحيح) (صحيح النسائي للألباني جـ١صـ٥٦٧)

الإخلاص سبيل الحصول على شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم:

عن أبي هريرة أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه» (البخاري حديث: ٩٩)

الإخلاص سبيل النجاة من النار:

قال سبحانه عن المجرمين: (إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) (الصافات: ٣٨: ٤٣)

روى الشيخان عن عتبان بن مالك الأنصاري، رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله. (البخاري حديث: ٥٤٠١/مسلم حديث: ٣٣)

الإخلاص سبب لإجابة الدعاء:

قال تعالى: «فادعوا الله مخلصين له الدين»

ويظهر ذلك واضحا في قصة أصحاب الغار الذي دعوا الله بأعمال أخلصوا فيها له. فأجاب دعوتهم..والحديث طويل كما بصحيح البخاري ومسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

من صفات الإله المعبود: النفع والضر

قال الله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ» (يونس: ١٨)

فضائل شهر المحرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم. (صحيح مسلم).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحذيرات نبوية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة، ومن لعن مؤمنا فهو كقتله، ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله» (صحيح البخاري).

من دلائل النبوة

حنين جذع الشجرة

عن ابن عمر رضي الله عنهما، كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه " (صحيح البخاري).

من فضائل الصحابة

عثمان بن عفان

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من يحفر بئر رومة فله الجنة». فحفرها عثمان، وقال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزه عثمان. (صحيح البخاري).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن شكل بن حميد قال: قلت: يا رسول الله! علمني دعاء أنتفع به. قال: "قل: اللهم عافني من شر سمعي، وبصري، ولساني، وقلبي، وشر منيي". قال وكيع: "منيي" يعني: الزنا والفجور. (الأدب المفرد).

من أقوال السلف في أهل البدع

عن مسروق قال: لا يأتي عليكم زمان إلا وهو أشر مما كان؛ وما ذاك بكثرة الأمطار وقلتها ولكن بذهاب العلماء، ثم يحدث قوم يفتون في الأمور برأيهم فيثلمون الإسلام ويهدمونه. (فتح الباري لابن حجر).

إعداد/ علاء خضر

حكم ومواعظ

عن طلق بن حبيب قال: «اعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله؛ فالتقوى ترك معاصي الله على نور الله مخافة عقاب الله» (الزهد لأحمد بن حنبل).

من سير الخلفاء

لما استخلف عمر بن عبد العزيز بكى وقال: يا أبا قلابة هل تخشى علي؟ قلت: كيف حبك الدرهم؟ قال: «لا أحبه» قال: «لا تخف إن الله عز وجل سيعينك» (الزهد لأحمد بن حنبل).

من أهم صفات العُبّاد

عن سليمان بن المغيرة قال: سمعت ثابتاً البناني يقول: لا يسمى الرجل أبدا عابدًا وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان: الصوم والصلاة؛ لأنهما من لحمه ودمه. (سير أعلام النبلاء).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(الدين هو العقل، ومن لا دين له لا عقل له). قلتُ: إن فضل العقل في الإسلام أمر ثابت ومحمود، فقد أمرنا الله بالتدبر والتفكر في آياته، أما أن نقدم العقل على الكتاب والسنة في العقائد والأحكام، فهذا أمرٌ مذموم ومن سمات أهل البدع. (سلسلة الأحاديث الضعيفة).

فوائد لغوية

التحسس والتجسس

التحسّس: تتبع أخبار الناس بالخير ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ﴾ (يوسف:٨٧).

التجسّس: معرفة أسرار الناس بالشر (ولا تجسسوا).

خلق سيئ فاتركه

قال رجل لآخر: بلغني عنك أمر قبيح، فقال: يا هذا، إن صحبة الأشرار ربما أورثت سوء ظن بالأخيار. (عيون الأخبار)

خلق حسن فالزمه

عن الأحنف بن قيس قال: "لا أغتاب جليسي إذا قام من عندي، ولا أدخل في أمر قوم لم يدخلوني معهم" (الزهد لأحمد بن حنبل).

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

(الحلقة ٧٦)

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

الطلاق في الحيض

الحلقة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد،

في الحلقة السابقة ذكرنا أدلة الجمهور القائلين بوقوع الطلاق أثناء الحيض، وأدلة المخالفين لهم القائلين بعدم وقوعه. وفي هذه الحلقة- بإذن الله- ننظر في هذه الأدلة وكيفية توجيهها.

إعداد/ متولي البراجيلي

أولاً: أدلة الجمهور:

١- قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: مره فليراجعها. (متفق عليه) والرجعة لا تكون إلا بعد طلاق.

وقد رد المخالفون على هذا الدليل، بأن المراجعة لفظ مشترك له معان كثيرة غير معنى الإمساك والإعادة بعد الطلاق.

يقول ابن القيم: فالمراجعة قد وقعت في كلام الله ورسوله على ثلاثة معان:

أحدها: ابتداء النكاح، كقوله تعالى: «فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ» (البقرة: ٢٣٠).

ولا خلاف بين أحد من أهل العلم بالقرآن أن المطلق ها هنا هو الزوج الثاني، وأن التراجع بينها وبين الزوج الأول، وذلك نكاح مبتدأ.

وثانيهما: الرد الحسي إلى الحالة التي كانا عليها أولاً، كقوله لأبي النعمان بن بشير لما نحل ابنه غلامًا خصه به دون ولده: ردَّه.

ثم قال ابن القيم: ومن هذا قوله لمن فرق بين جارية وولدها في البيع، فنهاه عن ذلك، ورد البيع. وليس هذا الرد مستلزمًا لصحة البيع، فإنه بيع باطل، بل هو رد شيئين إلى حالة اجتماعهما كما كانا، وهذا الأمر بمراجعة ابن عمر امرأته ارتجاع ورد إلى حالة الاجتماع كما كانا قبل الطلاق، وليس في ذلك ما يقتضي وقوع الطلاق في الحيض البتة. (زاد المعاد لابن القيم: ٥/٢٠٨).

وحمل بعض المخالفين المراجعة على معناها اللغوي كابن حزم وغيره، وتعقب بأن الحمل على الحقيقة الشرعية مقدم على اللغوية اتفاقًا. (انظر فتح الباري لابن حجر: ٩/٣٥٣).

قال ابن تيمية رحمه الله: وقول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر: «مره فليراجعها». مما تنازع العلماء فيه في مراد النبي صلى الله عليه وسلم، ففهم منه طائفة من العلماء أن الطلاق قد لزمه، فأمره أن يرتجعها ثم يطلقها في الطهر إن شاء... وفهم طائفة أخرى أن الطلاق لم يقع، ولكنه لما فارقها ببدنه كما جرت العادة من الرجل إذا طلق امرأته اعتزلها ببدنه واعتزلته ببدنها، فقال لعمر: مره

فليراجعها، ولم يقل فليرتجعها، والمراجعة مفاعلة من الجانبين، أي ترجع إليه ببدنها فيجتمعان كما كانا... بل قالوا لأنه لم يأمر ابن عمر بالإشهاد على الرجعة، كما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولو كان الطلاق قد وقع وهو يرتجعها لأمر بالاستشهاد، ولأن الله تعالى لما ذكر الطلاق في غير آية لم يأمر أحدًا بالرجعة عقيب الطلاق، بل قال: « فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ » (الطلاق:٢) (انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢٨٧/٣، ٢٨٨).

ويَرد عليه أن الإشهاد ليس شرطًا لصحة الرجعة، فقد ذهب الحنفية والمالكية والجديد من مذهب الشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد إلى أن الإشهاد على الرجعة مستحب، وهذا القول مروي عن ابن مسعود، وعمار بن ياسر رضي الله عنهما، فمن راجع امرأته ولم يشهد صحت الرجعة لأن الإشهاد مستحب. وذهب الشافعي في القديم من المذهب وأحمد في الرواية الثانية بأن الإشهاد على الرجعة واجب، وقال النووي: إن الإشهاد على الرجعة ليس شرطًا ولا واجبًا في الأظهر. (انظر: الموسوعة الفقهية ١١٣/٢٢، ١١٤).

٢- تصريح ابن عمر لسعيد بن جبير: حُسِبَتْ عليَّ تطليقة. (صحيح البخاري).

وهذا نص صريح عن ابن عمر غير قابل لتأويله، والنظر إليه يكون من جهتين:

الجهة الأولى: صحة الحديث. الجهة الثانية: على من يعود الفعل المبنى للمجهول في قول ابن عمر: حسبت عليَّ تطليقة.

أما من ناحية الجهة الأولى: فالحديث في صحيح البخاري أخرجه بسند متصل - ليس معلقًا- فلا مجال للغمز فيه. وراوي الحديث عن ابن عمر وهو سعيد بن جبير من أجلاء علماء التابعين، فهو ليس راويًا فقط ولكنه أحد أعلام الإسلام وكبار علمائه، وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني سعيد بن جبير. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٥/٤).

فلا مجال للكلام عن تفرد سعيد بن جبير مع ضبطه وفقهه وعدم مخالفته للروايات الأخرى التي وردت عن ابن عمر إلا رواية أبي الزبير (وهذه سنتكلم عنها إن شاء الله) فمن الجهة الأولى- جهة صحة الحديث- لا مجال لرد الحديث.

الجهة الثانية: وهي على من يعود الضمير في الفعل المبني للمجهول «حسبت»؟ فبالسبر والتقسيم البدائل ثلاثة في احتساب طلقة ابن عمر، هي:

١- أن الذي حسبها هو ابن عمر نفسه.
٢- أن الذي حسبها هو عمر رضي الله عنه.
٣- أن من حسبها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نأتي للبديل الأول بأن الذي حسبها هو ابن عمر رضي الله عنهما، وهذا بعيد، لأنه لو أراد الكلام عن نفسه وفعله، لقال: حسبتها تطليقة، ونسب الفعل إلى نفسه، أما البديل الثاني: أن الذي حسبها هو أبوه عمر رضي الله عنه، وهذا أيضاً بعيد، لأن عمر رضي الله عنه ذهب يستفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وقع من ابنه، فهل يسأل النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يجيبه النبي صلى الله عليه وسلم بشيء، فيقوم هو بإفتاء ابنه؟ هذا في غاية البعد فلماذا إذن رفع الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم؟ فالزمان زمان تشريع والنبي صلى الله عليه وسلم رفعت إليه المسألة. وهذا أمر – الطلاق في الحيض – مما تعم به البلوى وسينتشر بين الناس، فهل يترك بلا توجيه، والله تعالى يعلم ما سيكون من أحوال الناس. وهو بكل شيء عليم. فلم يبق بين أيدينا إلا البديل الثالث – وهو الصواب- أن الضمير يعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم- كما ذهب إليه جمهور أهل العلم.

وأجاب الحافظ ابن حجر عن قول ابن حزم: حسبت عليَّ تطليقة. بأنه لم يصرح بمن حسبها عليه، ولا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتعقب بأنه مثل قول الصحابي: أمرنا في عهد رسول الله

صلى الله عليه وسلم بكذا، فإنه ينصرف إلى من له الأمر حينئذ وهو النبي صلى الله عليه وسلم كذا قال بعض الشراح، وعندي أنه لا ينبغي أن يجيء فيه الخلاف الذي في قول الصحابي أمرنا بكذا فإن ذاك محله حيث يكون اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ليس صريحًا، وليس ذلك في قصة ابن عمر هذه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم هو الآمر بالمراجعة وهو المرشد لابن عمر فيما يفعل إذا أراد طلاقها بعد ذلك. وإذا أخبر ابن عمر أن الذي وقع منه حسبت عليه تطليقة، كان احتمال أن يكون الذي حسبها عليه غير النبي صلى الله عليه وسلم بعيدًا جدًا، مع احتفاف القرائن في هذه القصة بذلك. وكيف يتوهم أن ابن عمر يفعل في القصة شيئًا برأيه وهو ينقل أن النبي صلى الله عليه وسلم تغيظ من صنيعه... (فتح الباري للحافظ ابن حجر ٣٥٣/٩).

فمن الجهة الثانية: يستبعد قول من قال إن الحاسب للطلاق ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- قول ابن عمر ليونس بن جبير عندما سأله: أتعتد بتلك التطليقة؟ فقال: فمه، أو إن عجز واستحمق. (متفق عليه).

وفي «مسند أحمد» رواية أتم، وفي أولها أنه سأل ابن عمر عن رجل طلق امرأته وهي حائض... وفيه: فقال مُرْهُ فليراجعها ثم إن بدا له طلاقها طلقها في قُبُل عدتها، وفي قُبُل طهرها قال: قلت لابن عمر: أَفَتَحْتَسِبُ طلاقها ذلك طلاقًا؟ قال: نعم أرأيت إن عجز واستحمق؟! وأخرجه مسلم من وجه آخر عن محمد بن سيرين مطولاً ولفظه فقلت له: إذا طلق الرجل امرأته وهي حائض أيعتد بتلك التطليقة؟ قال:فمه أو إن عجز واستحمق. وفي رواية له فقلت: أفتُحْتَسَبُ عليه... قوله: فمه، أصله: فما، وهو استفهام فيه اكتفاء، أي فما يكون إن لم تحتسب. ويحتمل أن تكون الهاء أصلية، وهي كلمة تقال للزجر، أي كف عن هذا الكلام فإنه لابد من وقوع الطلاق بذلك. قال ابن عبد البر: قول ابن عمر: فمه معناه فأي شيء يكون إذا لم يعتد بها؟! إنكارًا لقول السائل: أيعتد بها، فكأنه قال: وهل من ذلك بُدٌّ؟ وقوله: أرأيت إن عجز واستحمق، أي إن عجز عن فرض فلم يقمه، أو استحمق فلم يأت به، أيكون ذلك عذرًا له، وقال الخطابي: في الكلام حذف، أي أرأيت إن عجز واستحمق أيسقط عنه الطلاق حمقه أو يبطله عجزه، وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه. ثم نقل الحافظ ابن حجر عن بعض أهل العلم توجيهًا آخر للحديث، وهو: أنه فعل فعلاً يصيره أحمق عاجزًا فيسقط عنه حكم الطلاق عجزه أو حمقه. (انظر: فتح الباري ٣٥٢/٩).

قلتُ: وإن كان التوجيه الأول للحديث- أرجح – من حيث السياق إلا أن النص هكذا ليس صريحًا لكل من المؤيدين والمعارضين.

٤- أورد الحافظ ابن حجر في « الفتح » أن ابن وهب أخرج في مسنده عن ابن أبي ذئب أن نافعًا أخبره أن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، قال ابن أبي ذئب في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: وهي واحدة.

قال ابن أبي ذئب وحدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع سالمًا يحدث عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. وأخرجه الدارقطني من طريق يزيد بن هارون عن ابن أبي ذئب وابن إسحاق جميعًا عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هي واحدة،وهذا نص في موضع الخلاف فيجب المصير إليه. (ابن أبي ذئب الذي عليه مدار هذه الروايات هو: محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ثقة فقيه فاضل. تقريب التهذيب ص٤٩٣). وقد أورده بعض العلماء على ابن حزم، فأجابه بأن قوله: هي واحدة، لعله ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فألزمه بأنه نقض أصله لأن الأصل لا يدفع

بالاحتمال. ثم أورد الحافظ عن الدارقطني بسنده.... فقال عمر يا رسول الله أفتحتسب بتلك التطليقة؟ قال: نعم ورجاله إلى شعبة (راوي الحديث) ثقات، وأورده عنه أيضًا بسنده عن نافع عن ابن عمر: أن رجلاً قال: إني طلقت امرأتي البتة (طلاقًا نهائيًا) وهي حائض، فقال: عصيت ربك وفارقت امرأتك. قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ابن عمر أن يراجع امرأته، قال: إنه أمر ابن عمر أن يراجعها بطلاق بقي له، وأنت لم تبق ما ترتجع به اه رأتك، وفي هذا السياق رد على من حمل الرجعة في قصة ابن عمر على المعنى اللغوي. (انظر: فتح الباري ٩/٣٥٣).

قلتُ: في كلام ابن حزم (هي واحدة) لعله ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم. يعني مدرجة، والمدرج: هو زيادة لفظ في الحديث من كلام أحد الرواة وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم. وقول ابن حزم « لعله » يفيد عدم تحققه من أن هذه المقولة مدرجة في الحديث، وكما هو معلوم فإن الأصل عدم الإدراج إلا ببينة على ذلك، قال في «تدريب الراوي»: وكله، أي الإدراج حرام بإجماع أهل الحديث والفقه وعبارة ابن السمعاني وغيره: من تعمد الإدراج فهو ساقط العدالة، وممن يحرف الكلم عن مواضعه، وهو ملحق بالكذابين، ثم قال السيوطي: إن ما أدرج لتفسير غريب لا يمنع، ولذلك فعله الزهري وغير واحد من الأئمة. (انظر: تدريب الراوي للسيوطي ١/٣٢٢). وأورد الشيخ الألباني طرق الحديث ورواياته، ثم أورد كلام ابن القيم عن قوله: (وهى واحدة) «فلعمر الله، لو كانت هذه اللفظة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قدمت عليها شيئًا ولصرنا إليها بأول وهلة، ولكن لا ندري أقالها ابن وهب من عنده، أم ابن أبي ذئب، أو نافع؟ فلا يجوز أن يضاف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يتيقن أنه من كلامه، ويشهد به عليه، ونرتب عليه الأحكام، ويقال هذا من عند الله بالوهم والاحتمال».. قلت (الألباني): وفى هذا الكلام صواب وخطأ أما الصواب اعترافه بكون هذه اللفظة نصًا في المسألة يجب التسليم بها والمصير إليها لو صحت. وأما الخطأ فهو تشككه في صحتها، ورده لها بدعوى أنه لا يدري أقالها ابن وهب من عنده... وهذا شيء عجيب من مثله، لأن المتفق عليه بين العلماء أن الأصل قبول رواية الثقة كما رواها، وأنه لا يجوز ردها بالاحتمالات والتشكيك، وأن طريق المعرفة هو التصديق بخبر الثقة، ألا ترى أنه يمكن للمخالف لابن القيم أن يرد حديثه (فردها علي ولم ير ما شيئًا) بمثل الشك الذي أورده هو على حديث ابن وهب بالطعن في أبي الزبير، ونحو ذلك من الشكوك، وقد فعل ذلك بعض المتقدمين وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، وكل ذلك مخالف للمنهج العلمي المجرد عن الانتصار لشيء سوى الحق. على أن ابن وهب لم يتفرد بإخراج الحديث بل تابعه الطيالسي فقال: حدثنا ابن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر: أنه طلق امرأته وهي حائض فأتى عمر النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك فجعله واحدة وتابعه أيضًا يزيد بن هارون: أخبرنا ابن أبي ذئب (كما عند الدارقطني) وتابع ابن أبى ذئب ابن جريج عن نافع عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هي واحدة. (أخرجه الدارقطني). وتابع نافعًا الشعبي بلفظ أنه صلى الله عليه وسلم قال: لم يحتسب بالتطليقة التي طلق أول مرة. وهو صحيح السند. يقول الألباني: وكل هذه الروايات مما لم يقف عليها ابن القيم رحمه الله عليه، وظني أنه لو وقف عليها لتبدل الشك الذى أبداه في رواية ابن وهب، ولصار إلى القول بما دل عليه الحديث من الاعتداد بطلاق الحائض. (انظر: إرواء الغليل ٧/١٢٤-١٣٥).

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.



باب العقيدة

ألقاب أهل السنة عند خصومهم من أهل البدع

الحلقة الأولى

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فمن الأساليب التي استعملها أهل البدع والضلال- في القديم والحديث- لجذب الناس إليهم، وتحبيبهم فيما هم عليه من البدع، وصرفهم وتنفيرهم عن معتقد أهل السنة والجماعة، هو وصفهم لأهل السنة بأشياء ينفر عنها كثير من الناس؛ لأنهم يريدون أن ينفُروا الناس عن أهل السنة، فيأتون بألفاظ يشنعوا بها عليهم، ويتكلمون بحقهم فيها.

إعداد/ د. عبد الله شاكر

فالمبتدعة يُسيئون إلى أهل السنة في القديم والحديث:

يقول الإمام أحمد رحمه الله تبارك وتعالى: وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة يسمون بها أهل السنة، يريدون بذلك الطعن عليهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال، فكل فرقة أو طائفة مخالفة لأهل السنة والجماعة، تذكرهم بلقب أو أكثر، وربما اتفقت طائفتان أو أكثر على نبز أهل السنة ببعض الألقاب، حتى أصبح من أبرز علامات أهل البدع وأظهر ما يميزهم، هو الوقيعة في أهل السنة. قال الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله تبارك وتعالى: وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر.

وقد عد العلماء (كشيخ الإسلام ابن تيمية) وقوع هذا الأمر- ألا وهو نبز أهل البدع والأهواء لأهل السنة والجماعة بالألقاب الشنيعة- من علامات الإرث الصحيح، والمتابعة التامة، فإن مشركي مكة الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرضوا عن الهُدى والنور الذي جاء به، كانوا يسمون النبي صلى الله عليه وسلم بأسماء قبيحة، فتارة كانوا يسمونه مجنونًا، وتارة ساحرًا، وتارة شاعرًا، وتارة كاهنًا، وتارة مفتريًا، وهو بأبي وأمي صلى الله عليه وسلم كان بريئًا من هذه الأسماء والألقاب. (الفتوى الحموية).

ولم يسلم أتباعه صلى الله عليه وسلم من بعده من هذه المسبة والافتراء والبُهتان، فكل مَن سار على هديه واستن بسنته، نال نصيبًا من الرمي بالباطل، والاتهام بشتى التهم والألقاب الشنيعة من أتباع أهل الباطل والأهواء، ويصرف الله الأذى عن أتباع نبيه صلى الله عليه وسلم ويحميهم من كل تهمة باطلة، وافتراء جائر، ولقب قبيح، فأهل السنة ليس لهم إلا اسم واحد، وهذه الأوصاف لا تنطبق عليهم، لا من قريب ولا من بعيد، وإنما هي أوصاف مخالفيهم من أهل الفُرقة والأهواء، وقديمًا قيل: «رَمتني بدائها وانسلت».

فَكُلُّ مَنْ نَبَزَ أَهْلَ السُّنَّةِ بِاسْمٍ أَوْ لَقَبٍ، وَكَانَ هَذَا اللَّقَبُ بَاطِلاً، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى.

نبز أهل السنة بلقب مشَبِّهة والرد عليهم:

هذا اللقب- لقب مشبهة- من أشنع الألقاب التي نبزهم بها مخالفوهم في باب الأسماء والصفات من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة،

ذلك أن أهل السنة والأثر يصفون الله عز وجل بكل ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل، ولا تأويل، ولا تشبيه، ولا تمثيل.

فأما الجهمية: فإن من أهم وأقدم ما وصل إلينا من النصوص التي تُشير إلى نبزهم أهل السنة والأثر بلقب مشبهة، ما رواه الإمام اللالكائي عن إسحاق بن راهويه، قال: علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل الجماعة وما أولعوا به من الكذب، أنهم مشبهة. وما أورده الإمام أحمد بن حنبل في كتابه القيم: (الرد على الجهمية والزنادقة) عن الجهمي: أن الجهم زعَمَ أن مَن وصف الله بشيء مما وصف الله- تبارك وتعالى- به نفسه في كتابه، أو حَدَّث عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كافرًا، وكان من المشبهة. وكذلك قول أبي حاتم: وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة.

وأما المعتزلة: فنجد أن المعتزلة هم ورثة الجهمية، ورثوا عنهم القول بنفي الصفات، ونبز مَن أثبتها بالتشبيه، فهذا أبو موسى المردار- والذي يعد من علماء المعتزلة، ومقدميهم- ينقل عنه الخياط: أنه كان يزعم أن من قال: إن الله يُرى بالأبصار على أي وجه قال، فمشبه لله بخلقه، والمشبه عنده كافر، ومعلوم: أن من أصول مذهب أهل السنة إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الجنة.

والإمام الرازي-رحمه الله- يذكر أن جماعة من المعتزلة ينسبون التشبيه إلى الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، قال: وهذا خطأ منهم، فإنهم منزَّهون في اعتقادهم عن التشبيه والتعطيل.

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: أن جُلَّ المعتزلة تُدخل عامة الأئمة وذلك من أمثال مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد وغيرهم، في قسم المشبهة.

> **أهل السنة والجماعة من أشد الناس مَقتًا للمشبهة والتشبيه؛ بما قام في قلوبهم من جلال الخالق وعظمته، مع إثباتهم صفات الجلال والكمال التي ثبتت لله عز وجل.**

وأما الأشاعرة: فإنهم لما كانوا لا يثبتون إلا بعض الصفات، ويؤولون البعض الآخر، فقد نبزوا من يثبت لله جميع ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بالتشبيه.

فقد أثبت الأشاعرة سبع صفات فقط سموها صفات المعاني- وهي الصفات التي دل عليها العقل والشرع كما قالوا- وذلك مثل: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. أما الصفات الخبرية التي لا مجال للعقل فيها، والتي دلنا عليها النقل الصحيح عن الله عز وجل أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم فهم يؤولونها، وبالتالي لَمَّا أوَّلوها وصرَفوها عن ظاهرها المراد واللائق بها لله عز وجل زعموا، أن من أطلقها في جانب رب العالمين (سبحانه)، يكون مشبهًا.

بعض أقوال الأشاعرة الذين وصفوا أهل السنة بهذا اللقب- ألا وهو مشبهة- يقول الجويني-رحمه الله-:

واعلموا أن مذهب أهل الحق: أن الرب سبحانه يتقدس عن شغل حيز، ويتنزه عن الاختصاص بجهة، هكذا قال. وذهب المشبهة: إلى أنه- تعالى عن قولهم- مختص بجهة فوق.

ومن خلال هذا العرض لهذه النماذج من أقوال الجهمية والمعتزلة والأشاعرة التي وصموا فيها أهل السنة بالتشبيه؛ يتضح لنا أن القوم يعدُّون إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، أو وصفها بها رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيهًا، وكل من أثبتها مشبهًا، والحق: أن أهل السنة لم يزيدوا في هذا الباب على أن قالوا كما قال ربهم وخالقهم عن نفسه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى: ١١). فأثبتوا لله تعالى على ضَوْء هذه الآية ما أثبت الله عز وجل لنفسه من الصفات، مع قطعهم بنفي المشابهة والمماثلة بين صفاته وبين صفات

المخلوقات، فهم يصفون الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

والمشبهة هم الذين يمثلون صفاته بصفات خلقه، كما قال الإمام إسحاق بن راهويه-رحمه الله-: إنما يكون التشبيه لو قيل: يد كيد، وسمع كسمع، أما إذا قيل: يد وسمع تليق بعظمة الباري وجلاله من غير مشابهة أو مماثلة ليد وسمع المخلوق اللائق بعجزه وافتقاره، فلا يعد ذلك تشبيهًا.

وأهل السنة والجماعة من أشد الناس مَقْتًا للمشبهة والتشبيه؛ بما قام في قلوبهم من جلال الخالق وعظمته، مع إثباتهم صفات الجلال والكمال التي ثبتت لله عز وجل.

وقال إسحاق بن راهويه: مَن وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله، فهو كافر بالله العظيم.

نبز أهل السنة بلقب مجبرة، والرد عليهم:

هذا اللقب- ألا وهو لقب مجبرة- نبزهم به المعتزلة والقدرية؛ وذلك لأن أهل السنة والأثر يقولون: كل شيء بقدر الله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وهذا القول عند القدرية جبر؛ لأنهم يرون أن أفعال العباد هم المُحْدِثُون لها، وليست مخلوقةً لله، وأن أفعال الشرَ من الكفر والمعاصي تقع من العبد، وهو المحدث لها من غير إرادة من الله، ولا تقدير لها، وكل من قال: إنها تقع بإرادة الله وقضائه وقدره، عَدُّوه جَبْرِيًا.

وقد نقل الخياط المعتزلي عن أبي موسى المردار: أن مَن وصف الله بأنه يقضي المعاصي على عباده، ويقدرها، فَمُسَفِّهٌ لله في فعله، والمسفه لله كافرٌ به، والشاك في قول المشبهة والمجبر فلا يدري أحق قوله أم باطل؟ كافر بالله أيضًا!

تأملوا إلى أين وصل هذا الرجل، حيث عَدَّ الشك في قول المشبه كذلك كفرًا أيضًا، وأن الشاك كافر.

يزيد ولا ينقص، ولا يجوز الاستثناء فيه، فليس للمرء أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أو مؤمن أرجو، وإنما يقطع بإيمانه، وعدوا مَن أدخل الأعمال في مسمى الإيمان، وقال بزيادته ونقصانه، وجوَّز الاستثناء فيه، مخالفًا، ومن ثم نبزوا أهل السنة والجماعة بالألقاب القبيحة، فقالوا: نقصانية؛ لقولهم: إن الإيمان يزيد وينقص.

تأمل كيف اشتقوا أسماء باطلة، وأطلقوها على أهل السنة والجماعة من معتقد صحيح عليه أهل السنة والجماعة، فأهل السنة لما قالوا: إن الإيمان يزيد وينقص سموهم نقصانية؛ لأنهم لا يقولون بزيادة الإيمان ولا نقصانه، وسموهم أيضًا مخالفة؛ لأنهم خالفوا مذهبهم، وقالوا عنهم أيضًا بأنهم شُكاك؛ لأنهم يستثنون في الإيمان.

وقد روى الإمام اللالكائي عن أبي حاتم، أنه قال: وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية.

وقال الإمام أحمد في كتاب (السنة): وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء قبيحة شنيعة يسمون بها أهل السنة، يريدون بذلك الطعن عليهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال، فأما المرجئة فيسمون أهل السنة شُكاكًا.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

" أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء قبيحة شنيعة يسمون بها أهل السنة، يريدون بذلك الطعن عليهم، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال. "

نبز أهل السنة بألقاب: نقصانية، مُخالفة، شُكاك:

هذه الألقاب الثلاثة أيضًا- المبتدعة- نبزوا بها أهل السنة والجماعة؛ وذلك لأن المرجئة- على اختلاف طوائفهم- يَرَوْنَ: أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان، إذ الإيمان عند بعضهم المعرفة فقط، وعند فريق آخر النطق باللسان فقط، وعند أمثلهم هو اعتقاد بالقلب ونطقٌ باللسان.

وقد قالوا: إن الإيمان لا



مع القصة في كتاب الله

قصة نزول عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان

مقتل الدجال (٢)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فنتابع معك أيها القارئ الكريم استخلاص الحقائق الإيمانية والفوائد العلمية من أحاديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، ونقف معك على حدث من أهم الأحداث في مسيرة مسيح الحق، ألا وهو قتله لمسيح الضلال.

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

خامسا: مقتل المسيح الدجال:

لا شك أن مقتل المسيح الدجال هو قتلٌ لأعظم فتنة تقع على الأرض، وإغلاق لأخطر باب من أبواب الشر، وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن هذه المهمة العظيمة سيقوم بها المسيح عليه السلام بعد نزوله إلى الأرض وسيجعل المولى عز وجل نهاية الدجال على يديه، ونذكر ببعض الأحاديث الصحيحة التي سجلت هذا الحدث العظيم:

روى الشيخان وأحمد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل عيسى ابن مريم، فإذا رآه الدجال ذاب كما تذوب الشحمة، فيقتل الدجال ويفرق اليهود فيقتلون، حتى إن الحجر يقول: يا عبد الله المسلم، هذا يهودي فتعال فاقتله». وعند البخاري وأحمد- رحمهما الله- من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في معرض حديثه عن الدجال: «.. وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرمين وبيت المقدس، وإنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس فيزلزلون زلزالاً شديدًا فيصبح عيسى ابن مريم فيهم، فيهزمه الله وجنوده..» من اليهود وغيرهم.

وفي حديث أبي أمامة الطويل الذي وصححه الألباني، وأضاف إليه ما صح من طرق أخرى، قال صلى الله عليه وسلم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم فرجع ذلك الإمام ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول تقدم فصلِّ فيصلي بهم إمامهم، ثم يأتي الدجال جبل إيلياء فيحاصر عصابة من المسلمين. إلى أن قال عليه السلام: فيذهب عيسى بحربته نحو الدجال فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانزاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريه دمه على حربته فيدركه عند

باب اللد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود ويُسلط عليهم المسلمون فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة، إلا الغرقد فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد الله يا مسلم، هذا يهودي ورائي فتعالى فاقتله».

ونحن بعون الله نستخلص مما سبق ومن الأحاديث التي وردت بعض الفوائد المجملة ثم نقف مع بعضها وقفات للتأمل:

أولاً: بعض الفوائد إجمالاً:

١- يتزامن نزول عيسى عليه السلام مع المهدي ومع الدجال.

٢- يصلي عيسى عليه السلام خلف المهدي ليؤكد تبعيته لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

٣- القدس وأكناف بيت المقدس ستكون مسرحًا لأحداث النهاية وسيكون القدس وما حولها مقرًا للخلافة الإسلامية آنذاك.

٤- يخرج الدجال أول ما يخرج من جهة المشرق وبالتحديد من يهودية أصبهان وسيتبعه سبعون ألفًا من يهودها وسيتبعه كذلك كثير من النساء والدهماء من الناس.

٥- يعيث الدجال في الأرض فسادًا ويذهب يمينًا وشمالاً وتمنعه الملائكة من دخول مكة والمدينة فيتحول إلى الشام حيث يلقى حتفه هناك بعد حصاره للمسلمين هناك.

٦- يجعل الله سبحانه وتعالى خلاص العباد والبلاد من شر الدجال على يد عيسى ابن مريم عليهما السلام.

"يخرج الدجال أول ما يخرج من جهة المشرق وبالتحديد من يهودية أصبهان وسيتبعه سبعون ألفًا من يهودها."

ثانيًا: هنا نناقش قضية انتقال الخلافة الإسلامية إلى أرض الشام وما يترتب عليها من أمور.

- لقد دلت الأحاديث الصحيحة والصريحة على انتقال الخلافة إلى بيت المقدس، نورد منها ما يلي:

وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على رأس ابن حوالة- رضي الله عنه- وقال: «يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه على رأسك». (أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥٢١٠)).

ومنها: ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال». ثم ضرب بيده على فخذي أو منكبي، ثم قال: «إن هذا لحقٌ كما أنك هاهنا أو كما أنك قاعد». رواه أبو داود، وحسنه الألباني برقم (٣٦٠٩). والشاهد معنا من الحديث قوله: «عمران بيت المقدس خراب يثرب». وهو إشارة إلى انتقال الخلافة إلى بيت المقدس، ومن الأحاديث التي تشير إلى أن بيت المقدس وأكنافه سيكون مكانًا للملاحم آخر الزمان وأن الطائفة المقاتلة هناك هم أهل السنة والجماعة الطائفة المنصورة:

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال». (رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني برقم: ٢١٧٠).

ومنها حديث أبي أمامة

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من جابههم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك». قالوا: أين هم يا رسول الله؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس. (المسند: ٥/٢٦٩، وقال الهيثمي: رجاله ثقات).

ومنها: ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى فيقول أميرهم: تعال صل بنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهذه الأمة». (رواه أحمد ومسلم).

وهذه الخلافة التي ستكون ببيت المقدس هي التي وعد النبي صلى الله عليه وسلم وبشر بها في قوله: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون مُلكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت». (أخرجه الإمام أحمد من حديث النعمان بن بشير والطيالسي والبزار والطبراني في الأوسط، وصححه الحافظ العراقي والألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤)).

> **نحن على يقين من وعد الله ووعد رسوله صلى الله عليه وسلم، ونعلم أن الله يغرس لدينه غرسًا يستخدمهم لنصرة دينه وقتما شاء وكيفما شاء.**

فهذا بيان نبوي كريم لمراحل الحكم في الدولة الإسلامية فيما مضى وما يستقبل من الزمان، وقد مرت المراحل الأولى (النبوة ثم الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، كما مرَّت كذلك مرحلة الملك العاض، الذي بدأ مع دولة بني أمية، ونحن الآن في مرحلة الحكم الجبري والتي سيرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، فالأمر كله لله، يرفع ويخفض، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ثم تأتي مرحلة الخلافة الراشدة التي وعد بها النبي صلى الله عليه وسلم وسكت بعدها، مما يشير إلى أن خلافة راشدة لا بد أن تقع في آخر الزمان وعاصمتها القدس.

تنبيه وبيان:

نحن لا نستطيع إسقاط الأحاديث السابقة على طائفة بعينها، ولا أشخاص بأعينهم، كما هو منهج السلف الصالح، وإنما تفسير هذه الأحاديث هو وقوعها كما أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن على يقين من وعد الله ووعد رسوله صلى الله عليه وسلم، ونعلم أن الله يغرس لدينه غرسًا يستخدمهم لنصرة دينه وقتما شاء وكيفما شاء، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (محمد: ٣٨)، فإذا كان هذا الخطاب قد وُجِّه للصحابة في المقام الأول، وهم على مكانتهم العظيمة من الجهاد والعمل فنحن أولى بذلك منهم، أقصد أننا أولى بهذا اللوم والتحذير من الصحابة الكرام، وعمومًا فالعبرة ليست بخصوص السبب ولكن بعموم اللفظ، فهذا التوجيه للصحابة رضي الله عنهم ولمن

يأتي بعدهم إلى ما شاء الله.

هذا التنبيه، أما البيان: فإن الأحاديث الشريفة التي تشير إلى انتقال الخلافة إلى بيت المقدس تدل على حتمية زوال دولة إسرائيل الحالية، وأن محاولاتهم لاستعادة هيكلهم المزعوم، وحكم العالم من القدس ستذهب هباءً منثورًا، بقدرة القوي القاهر- سبحانه وتعالى- أما ما جاء في الأحاديث من قتال لليهود بعد مقتل الدجال فهذا قتال للذين جاءوا خلف الدجال من أصبهان ومن غيرها مما تبقى من اليهود بعد زوال دولتهم الحالية بإذن الله.

نحن وهم: يقول عبد العزيز مصطفى في كتابه «قبل أن نهدم الأقصى»: إن اليهود والنصارى بين أيديهم أخبار غير موثوقة، وتفسيرات غير مأمونة، وعقائد مضطربة تزيدها التأويلات اضطرابًا واختلافًا فيما بينهم في الأصول والفروع يستحيل معها الجمع بين الأقوال، ومع ذلك فهم جعلوا هذه الأخبار وتلك النبوءات مسارًا يسيرون على ضوئه خلال أحقاب طويلة). اهـ.

"لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام وإقامة دولته على وجه الأرض، انتظارًا منهم لخروج المهدي، أو نزول عيسى عليهما السلام."

فماذا فعلنا نحن، ونحن نحمل الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ونرى أمام أعيننا في كل يوم محاولات اليهود لاختراق المسجد الأقصى، واقتحامه، وإرهاب القائمين، والعاكفين فيه، وتخريبه، تمهيدًا لهدمه- لا مكنهم الله من ذلك- هل ننتظر المهدي أو عيسى ليقوم بذلك؟!

يقول العلامة الألباني رحمه الله: «لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام وإقامة دولته على وجه الأرض، انتظارًا منهم لخروج المهدي، أو نزول عيسى عليهما السلام، يأسًا منهم، أو توهمًا أن ذلك غير ممكن قبلهما فإن هذا توهم باطل ويأس عاطل». اهـ. (قصة المسيح الدجال ص٣٦).

أخي الكريم: أختم معك هذه الوقفة بسؤالين: الأول: لماذا إقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة حتمية؟ والثاني: هل ستكون الخلافة هذه قبل المهدي أم ستكون مع ظهوره؟ ونجيب على هذين السؤالين في اللقاء القادم إن شاء الله، استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تهنئة واجبة

حصلت الباحثة / وسام سمير محمود الزحلان على درجة الماجستير بتقدير عام إمتياز مع مرتبة الشرف من كلية التربية جامعة عين شمس قسم الصحة النفسية في رسالة بعنوان: (المناخ المدرسي وعلاقته بالهوية الثقافية) تحت اشراف أ.د/ سميرة محمد شند ، د/ طه ربيع طه وأسرة تحرير مجلة التوحيد يتقدمون بخالص التهاني للباحثة متمنين لها دوام التوفيق.



تاريخ إدخال حجرات النبي (صلى الله عليه وسلم) في مسجده

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.. فقد ذكرنا في الحلقة الماضية أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى حجرات نسائه؛ لكل زوجة حجرة من قطعتين؛ غرفة من الطين تفتح على فناء من الجريد المستور بكساء الشَّعر، وبينا كيف كانت محتويات هذه الحجرات، والحياة الزاهدة المتواضعة لنبي الله تعالى في تلك الحجرات التي بناها كلها خارج مسجده، حتى خرج من الدنيا.

إعداد/ جمال عبد الرحمن

وكان قد أخبر بعض أصحابه أنه ما من نبي يموت إلا قُبرَ ودُفن حيث مات، فكانت وفاته صلى الله عليه وسلم في حجرته حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها ، وعليه فقد كان قبره في بيته في خارج مسجده. وكان صلى الله عليه وسلم يحذر كثيرًا من الخلط بين القبور والمساجد، فلا يبنى قبر في مسجد، ولا يبنى مسجد على قبر أيًا كان صاحب القبر؛ فقال: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وقال: «لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا». وقبل الحديث عن ملابسات إدخال الحجرات بما فيها القبر داخل المسجد؛ نشير بعض الإشارات عن وفاته صلى الله عليه وسلم.

وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر الشيخان في الصحيحين مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ قال ابن كثير رحمه الله: وَرُوِّينَا مِنْ طَرِيقٍ جَيِّدٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَكَى، فَقِيلَ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الْكَمَالِ إِلَّا النُّقْصَانُ. وَكَأَنَّهُ اسْتَشْعَرَ وَفَاةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَقَفَ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ وَقَالَ لَنَا: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، فَلَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا». السيرة النبوية لابن كثير (٤/٤٢٧).

(شكوى النبي صلى الله عليه وسلم ومرضه الأخير):

شعر الرسول صلى الله عليه وسلم بوعكة المرض الذي نزل به أواخر صفر من السنة الحادية عشرة، وبدأت آلامه صداعًا حادًا، عاناه في سكون حتى ثقل عليه الوجع وهو في بيت زوجه ميمونة.. فلم يستطع الخروج. وأذن له نساؤه أن يمرَض في بيت عائشة؛ لما رأين من ارتياحه إلى خدمتها له، وذلك في الأسبوع الأخير من حياته صلى الله عليه وسلم ، فخرج من عند ميمونة بين الفضل بن العباس وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم.وكان الألم قد أوهى قواه، فلم يستطع مسيرًا. فانتقل بينهما معصوب الرأس، تخطّ قدماه على الأرض حتى انتهى إلى بيتها. رواه ابن هشام: ٣٦٦/٢ و٣٦٨، وصححه الألباني.

وعندما أحسّ الرسول صلى الله عليه وسلم بأن سورة الحرّ خفّت عن بدنه، استدعى الفضل ابن عمه العباس فقال: «خذ

بيدي يا فضل» . وهو موعوك معصوب الرأس، قال الفضل: فأخذت بيده حتى دخل المسجد، وجلس على المنبر. ثم قال:«ناد في الناس»، فاجتمعوا إليه. قال أنس رضي الله عنه:» خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، قَالَ: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ». صحيح البخاري (٣٥/٥).

قال الغزالي رحمه الله تعالى: وكانت ظهيرة تظللها الكآبة، وتغمرها الرقة، اشرأبت فيها الأعناق إلى الرجل الذي أحيا موات القلوب، وأخرجهم وذرياتهم ونساءهم من الظلمات إلى النور، تطلعت إليه الأعين الحائرة فرأته متعبا. انهزمت العافية في بدنه الجلد أمام سطوة المرض العاتي. وعاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته اللاصق بالمسجد لينام في فراش السقام، وهو الذي لم يتعود أن يركن إليه أو يهدأ فيه. وإذا استطاع أن يخرج في فترات قليلة تخف فيها حدة المرض، فإلى المسجد، ليلقي نظرات أخيرة على الأمة التي صنعها، والرجال الذين أحبهم. فقه السيرة للغزالي (ص: ٤٦٢).

وفي يوم الأربعاء تحديدًا وقبل الوفاة بخمسة أيام اشتدت وطأة المرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتقدت حرارة العلة في بدنه. فطلب أن يأتوه بما يتبرد به ... ماء كثير، وقال: «أهريقوا عليّ سبع قرب من آبار شتى ...» .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي،).

قالت عائشة: فأقعدناه في مخضب (إناء كبير من الخشب) لحفصة، ثم صببنا عليه الماء، حتى طفق يقول: «حسبكم، حسبكم». (مجمع الزوائد(٤٦/٩) ورجاله ثقات).

وفي يوم الخميس وقبل الوفاة بأربعة أيام كان صلى الله عليه وسلم لا يزال مع معاناته وشدة مرضه يصلي بالناس في المسجد وقد صلى بهم وهو مريض أحد عشر يوما، ومجموع أيام مرضه الأخير كان ثلاثة عشر أو أربعة عشر يومًا، حتى كان يوم الخميس هذا كانت صلاة المغرب آخر صلاة صلاها بهم في المسجد. عَنْ أُمِّ الفَضْلِ بِنْتِ الحَارِثِ، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: «يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا، ثُمَّ مَا صَلَّى لَنَا بَعْدَهَا حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ». صحيح البخاري (٩/٦).

وعند صلاة العشاء من ذلك اليوم الخميس اشتد عليه ثقل المرض فلم يستطع الخروج إلى المسجد.

عن عائشة قالت: ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لاَ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ (وعاء من خشب)». قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيَنُوءَ (ينهض) فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لاَ، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثلاث أو أربع مرات وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي المَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِصَلاَةِ العِشَاءِ الآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ.(صحيح البخاري ١٣٨/١).

وعن أنس بن مالك قال: كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم- حين حضره الموت-: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» ، حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه . أخرجه ابن ماجه: ١٥٥/٢؛ وأحمد: ١١٧/٣،وصححه الألباني.

وفي يوم السبت أو الأحد قبل الوفاة بيوم أو يومين؛ قالت عائشة: ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا العَبَّاسُ- والآخر علي- لِصَلاَةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِأَنْ لاَ يَتَأَخَّرَ، قَالَ: أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ، فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلاَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَالنَّاسُ بِصَلاَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَاعِدٌ. صحيح

البخاري (١٣٨/١).

وبذلك يكون أبو بكر رضي الله عنه صلى بالناس تلك الأيام بدءًا من صلاة العشاء يوم الخميس إلى صلاة فجر يوم الإثنين الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم بمجموع سبع عشرة صلاة قبل رحيل المصطفى صلى الله عليه وسلم.

صحوة الموت ونظرة الوداع:

وفي يوم الاثنين آخر يوم في حياته صلى الله عليه وسلم : يروي أَنَسُ بْنُ مَالك رضي الله عنه أَنَّ الْمُسلمينَ بَيْنَا هُمْ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ منْ يَوْمِ الاثْنَيْنِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لَهُمْ، لم يَفْجَأْهُمْ إلاَّ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قَدْ «كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائشَةَ، فَنَظَرَ إلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلاة، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ»، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقبَيْه ليَصلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إلَى الصَّلاة، فَقَالَ أَنَسٌ: وَهَمَّ الْمُسلمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاتهمْ، فَرَحًا برَسُول الله صلى الله عليه وسلم، فَأَشَارَ إلَيْهِمْ بيَده رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أَنْ أَتمُّوا صَلاتَكُمْ ثُمَّ دَخَلَ الحُجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ». صحيح البخاري (١٢/٦).

ثم لم يأت على النبي عليه الصلاة والسلام وقت صلاة أخرى حتى مات، وفي ضحى هذا اليوم وقبل الوفاة بقليل، كان له صلى الله عليه وسلم آخر لقاء مع فلذة كبده فاطمة رضي الله تعالى عنها. فماذا دار في ذلك اللقاء؟

عَنْ عَائشَةَ رَضيَ اللَّه، عَنْهَا، قَالَتْ: دَعَا النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَاطمَةَ ابْنَتَهُ في شَكْوَاهُ الَّذي قُبضَ فيه فَسَارَّهَا بشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحكَتْ، قَالَتْ: فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلكَ، فَقَالَتْ- فيما بعد- : «سَارَّني النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَني أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعه الَّذي تُوُفِّيَ فيه، فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّني فَأَخْبَرَني أَنِّي أَوَّلُ أَهْل بَيْته أَتْبَعُهُ فَضَحكْتُ». صحيح البخاري (٢٠٤/٤).

> غَسْلُ رسول صلى الله عليه وسلم ودفن في حجرته خارج مسجده.

فلما رأته فاطمة رضى الله عنها يعاني من دخول الموت عليه قالَتْ: وَا كَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْم». صحيح البخاري (١٥/٦).

قالت عائشة رضي الله عنها: وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد فاضطجع في حجري، ووجدت رسول الله يثقل في حجري. فذهبت أنظر في وجهه. فإذا نظره قد شخص، وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى من الجنة». قلت: خيرت فاخترت والذي بعثك بالحق، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم. رواه ابن هشام: ٣٧١/٢ وصححه الألباني.

وتقول رضي الله عنها: «، وَبَينَ يَدَيْه رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ فيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخلُ يَدَيْه فِي المَاء فَيَمْسَحُ بهمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ، إنَّ للْمَوْت سَكَرَات» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبضَ وَمَالَتْ يَدُهُ. صحيح البخاري (١٣/٦).

وكان يقول : «اللَّهُمَّ اغْفرْ لي وَارْحَمْني، وَأَلْحقْني بالرَّفيقِ». صحيح البخاري (١١/٦).

فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ فاطمة رضي الله عنها: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، إلَى جبْريلَ نَنْعَاهْ، فَلَمَّا دُفنَ، قَالَتْ فَاطمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ التُّرَابَ. صحيح البخاري (١٥/٦).

(غَسْلُ الرسول صلى الله عليه وسلم ودفنه في حجرته خارج مسجده)

عَنْ عَائشَةَ، زَوْج النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ اخْتَلَفُوا فيه، فَقَالُوا: وَاللَّه مَا نَدْري كَيْفَ نَصْنَعُ؟ أَنُجَرِّدُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نَغْسلُهُ وَعَلَيْه ثيَابُهُ؟ قَالَتْ: فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهمُ السنةَ، حَتَّى وَاللَّه مَا منَ القَوْم منْ رَجُلٍ إلاَّ ذَقْنُهُ فِي صَدْره نَائمًا، قَالَتْ: ثُمَّ كَلَّمَهُمْ منْ نَاحيَة البَيْت، لا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ، فَقَالَ: « اغْسلُوا النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَعَلَيْه ثيَابُهُ ». قَالَتْ: فَثَارُوا إلَيْه، فَغَسَّلُوا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي قَميصه يُفَاضُ عَلَيْه المَاءُ وَالسِّدْرُ، وَيَدْلُكُهُ الرِّجَالُ بالْقَميص »، وَكَانَتْ تَقُولُ: لَوْ اسْتَقْبَلْتُ منَ الأَمْر مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إلاَّ نسَاؤُهُ. مسند أحمد (٣٣٢/٤٣)وإسناده حسن.

وأخرج البخاري (١٢٦٤)، ومسلم (٩٤١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كفن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة.

دَفْنُ الرَّسُولِ وَمَنْ تولى دفنه والصلاة عليه

« فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء، وُضِعَ في سَرِيرِه في بَيْتِه، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ اخْتَلَفُوا في دَفْنِه. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ، فَرُفِعَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تُوُفِّيَ عَلَيْهِ، فَحُفِرَ لَهُ تَحْتَهُ.

عَنْ أَبِي عَسِيبٍ، أَوْ أَبِي عَسِيمٍ، قَالَ بَهْزٌ: إِنَّهُ شَهِدَ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا: كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْهِ؟ قَالَ: « ادْخُلُوا أَرْسَالًا أَرْسَالًا »، قَالَ: « فَكَانُوا يَدْخُلُونَ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ »، قَالَ: « فَلَمَّا وُضِعَ فِي لَحْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ الْمُغِيرَةُ: قَدْ بَقِيَ مِنْ رِجْلَيْهِ شَيْءٌ لَمْ يُصْلِحُوهُ، قَالُوا: فَادْخُلْ فَأَصْلِحْهُ، فَدَخَلَ، وَأَدْخَلَ يَدَهُ فَمَسَّ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: أَهِيلُوا عَلَيَّ التُّرَابَ، فَأَهَالُوا عَلَيْهِ التُّرَابَ، حَتَّى بَلَغَ أَنْصَافَ سَاقَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَكَانَ يَقُولُ أَنَا أَحْدَثُكُمْ عَهْدًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ». مسند أحمد (٣٦٥/٣٤)، وإسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين.

وصيته صلى الله عليه وسلم بخصوص قبره:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: في مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» قَالَتْ: «فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا». صحيح مسلم (٣٧٦/١)، والبخاري وغيرهما.

> قال الشافعي رحمه الله: وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس.

قال أبو اسحاق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦هـ:(ويُكره أن يُبني على القبر مسجداً، لما روى أبو مرثد الغنوي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى إليه وقال: «لا تتخذوا قبري وثناً فإنما هلك بنو إسرائيل لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قال الشافعي رحمه الله: وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس. المهذب في فقة الإمام الشافعي للشيرازي (٢٥٩/١).

والكراهة هنا الشرعية، وهي تعني التحريم؛ كقوله تعالى: «وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ» (الحجرات: ٧).

وقال الألباني رحمه الله:(كثير من الناس نراهم يأتون إلى بعض القبور منسوبة لأنبياء أو صالحين فيدعون عندها وقد يصلون إليها مع أن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- نهى عن ذلك أشد النهي، فقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وَقَالَ: « لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا)». موسوعة الألباني في العقيدة (٩٧/٤).

وروى مسلم قوله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات منه قبل موته بخمس:«فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

وهكذا رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بنى حجرات نسائه خارج المسجد، ودُفن صلى الله عليه وسلم عند موته في حجرة أم المؤمنين عائشة، وكانت خارج المسجد، وكان يحذر عليه الصلاة والسلام في مرض موته ما صنع اليهود والنصارى من اتخاذ القبور مساجد، وعقبت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على تحذيره هذا بأنه لولا خوفه من أن يُتَّخَذَ قبره مسجدًا بقولها: ولولا خوفه من ذلك لأبرز قبره عليه الصلاة والسلام، لكنه دعا الله ألا يكون قبره مكانًا يعتاده الناس حتى يكون وثنًا يُعبد.

وظل قبر النبي صلى الله عليه وسلم في بيته خارج المسجد عشرات السنين بعد موته صلى الله عليه وسلم، فكيف دخلت الحجرة بما فيها القبر إلى المسجد، ومتى كان ذلك؟ هذا ما نتحدث عنه في العدد القادم، إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.



تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٨٣)

قصة الشاب الأنصاري الذي عاش بعد الموت مع أنس (رضي الله عنه)

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ ووجدت في كُتب السنة الأصلية وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد / علي حشيش

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن أنس بن مالك قال: «عدت شابًا من الأنصار، فما كان بأسرع من أن مات، فأغمضناه، ومددنا عليه الثوب.

فقال بعضنا لأمه: احتسبيه.

قالت: وقد مات؟

قلنا: نعم.

قالت: أحق ما تقولون؟ قلنا: نعم.

فمدت يدها إلى السماء، وقالت: اللهم إني آمنت بك وهاجرت إلى رسولك، فإذا أنزلت بي شدة شديدة دعوتك ففرجتها، فأسألك اللهم ألا تحمل عليَّ هذه المصيبة اليوم.

قال: فانكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا». اهـ.

أخرج هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتابه «من عاش بعد الموت» (ح١) قال: حدثنا خالد بن خداش بن عجلان المهبلي، وإسماعيل بن بسام قالا: حدثنا صالح المري، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: «عدت شابًا من الأنصار..» القصة.

ثالثًا: التحقيق

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة آفته صالح المُرِّي.

١ - قال الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي في «تهذيب الكمال» (٩/١٠/٢٧٨٠): «صالح بن بشير بن وادع بن أبي بن أبي الأقعس القارئ البصري القاصُّ المعروف بالمُرِّي، روى عن ثابت البناني.. وآخرين، وروى عنه إسماعيل بن إبراهيم الترجماني، وخالد بن خداش.. وآخرين، مات سنة اثنتين وسبعين ومائة، وقال البخاري: يقال مات سنة ستٍ وسبعين ومائة، ثم قال:

أ- وقال جعفر بن أبي عثمان الطيالسي عن يحيى بن معين (١٥٨-٢٣٣هـ): «كان قاصًا وكان كل حديث يحدث به عن ثابت باطلاً». اهـ.

قلت: وهذا الخبر الذي جاءت به القصة كما هو مبين آنفًا من التخريج عن ثابت وبتطبيق قول الإمام يحيى بن معين عليه خبر باطل.

ب- وقال صالح بن محمد البغدادي: «كان يقصُّ وليس هو شيئًا في الحديث، يروي أحاديث مناكير عن ثابت البناني». اهـ.

قلت: وهذا القول ينطبق تمام الانطباق على هذا الخبر فيصبح منكرًا أيضًا.

جـ- وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: «كان قاصًا واهي الحديث». اهـ.

قلت: وبتطبيق هذا القول على

هذا الخبر يصبح واهيًا والقصة واهية.

٢- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٦٥): «صالح بن بشير: أبو البشر المُرِّي البصري القاص، منكر الحديث».

قلت: هذا المصطلح من الإمام البخاري له معناه: قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣/٦/١): «نقل ابن القطان أن البخاري قال: كل من قلت فيه منكر فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

٣- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣٠٠): «صالح المُري: متروك الحديث بصري». اهـ.

وهذا المصطلح من الإمام النسائي له معناه.

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «كان مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٤- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٦٧/١): «صالح بن بشير المُري كنيته أبو بشر من أهل البصرة، ظهر في رواياته الموضوعات التي يرويها عن الأثبات واستحق الترك عند الاحتجاج». اهـ.

٥- قال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤/٦٠) (٩١٢/٥):

أ- صالح بن بشير أبو بشر المري بصري: حدثنا أبو طالب، سألت أحمد بن حنبل، عن صالح المري قال: «صالح صاحب قصص يقص على الناس، ليس هو صاحب حديث ولا إسناد، ولا يعرف الحديث». اهـ.

ب- وقال ابن عدي أيضًا: «سمعت ابن حماد: قال السعدي: صالح المري كان قاصًا واهي الحديث». اهـ.

جـ- ثم ختم ترجمته بعد أن أخرج لصالح المري ثمانية عشر حديثًا قال: «ولصالح غير ما ذكرت وهو رجل قاص حسن الصوت من أهل البصرة، وعامة الأحاديث التي ذكرت والتي لم أذكر منكرات ينكرها الأئمة عليه، وليس هو بصاحب حديث وإنما أتى من قلة معرفته بالأسانيد والمتون». اهـ.

٦- وقال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣٧٧٣/٢٨٩/٢): «صالح بن بشير الزاهد، أبو بشر المُرِّي الواعظ بصري شهير عن الحسن وابن سيرين وثابت، قال الفلاس: منكر الحديث جدًّا». وروى حاتم بن الليث (الجوهري) عن عفان (هو ابن مسلم) قال: «كُنَّا نحضر مجلس صالح المري فإذا أخَذَ في قصصه كأنه رجل مذعور، يفزعك أمره من حزنه، وكثرة بكائه، كأنه ثكلى، وكان شديد الخوف من الله كثير البكاء».

> **الإمام البخاري رحمه الله له مصطلح في الحكم علي الراوي يقول: كل من قلت فيه منكر فلا تحل الرواية عنه.**

قلت: وهذا حال أكثر القصاصين الذين لا دراية لهم بالصناعة الحديثية، وهذا ما بينه الإمام أحمد بن حنبل أنه صاحب قصص يقص على الناس ليس هو صاحب حديث ولا إسناد.

وبيَّن ذلك الإمام يحيى بن معين: «أنه كان قاصًا، وكان كل حديث يحدث به عن ثابت باطلاً».

وهذا ما بينه أيضًا صالح بن محمد البغدادي: «كان يقصُّ وليس هو شيئًا...».

قلتُ: وهذا ما بينه الإمام الجوزجاني: «كان قاصًا واهي الحديث».

وهذا ما بينه الإمام البخاري: «صالح المري القاصُّ منكر الحديث».

قلتُ: وهذه من أشد العبارات في الجرح عند البخاري، كما بينا معناها من قول البخاري نفسه؛ لأن صاحب البيت أدرى بما فيه. كذا قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص١٨).

(فمنكر الحديث) عند البخاري يقولها: «في كل من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

قلت: وهذا حكم رواية الحديث الموضوع كما بين ذلك الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) قال: «الموضوع تحرم روايته مع العلم بوضعه». اهـ.

وهذا ما بينه الحافظ ابن حبان بقوله: «ظهر في روايته الموضوعات فاستحق الترك عند الاحتجاج». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين الفرق بين

العلماء المحدثين، وبين الوعاظ والقصاصين، وبهذا التحقيق يتبين أن القصة واهية باطلة منكرة موضوعة.

رابعًا: شاهد أخرجه الحافظ ابن أبي الدنيا عقب هذا الخبر:

لقد أخرج الحافظ ابن أبي الدنيا شاهدًا لهذه القصة الواهية في كتابه «من عاش بعد الموت» (ح٢) قال:

حدثنا عبد الله قال فحدثني محمد بن محمد بن أبي الأسود التميمي عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن صالح المري قال: حدثت بهذا- أي بالخبر السابق- حفص بن النضر السلمي فعجب منه ثم لقيني الجمعة الثانية فقال: إني عجبت من حديثك فلقيت ربيعة بن كلثوم فحدثني أن رجلا حدثه أنه كانت له جارة عجوز كبيرة صماء عمياء مقعدة ليس لها أحد من الناس إلا ابن لها هو الساعي عليها فمات فأتيناها فناديناها احتسبي مصيبتك على الله تبارك وتعالى فقالت: وما ذاك؟ أمات ابني؟ مولاي أرحم بي ولا يأخذ مني ابني وأنا صماء عمياء مقعدة ليس لي أحد، مولاي أرحم بي من ذاك».

قال: قلت: ذهب عقلها فانطلقت إلى السوق فاشتريت كفنه وجئت وهو قاعد». اهـ.

خامسًا: التحقيق

هذا الخبر الذي أخرجه ابن أبي الدنيا شاهدًا لا يصلح أن يكون شاهدًا لأن العلة واحدة في الخبرين، وهي صالح المري، الذي حدث حفص بن النضر السلمي بقصة الشاب الأنصاري الذي عاش بعد الموت مع أمه والتي رواها صالح المري عن ثابت البناني عن أنس بن مالك فتعجب منها حفص بن النضر، ثم لقي صالح المري مرة أخرى وأخبره بالعجب، وأن العجب زال بقصة مماثلة قد وقعت لعجوز مع ابنها الذي يسعى عليها حيث أنبأه بهذا ربيعة بن كلثوم حيث حدثه رجل عن جارة له عجوز كبيرة صماء عمياء...» القصة.

> على طالب العلم أن يتبين الفرق بين العلماء المحدثين، وبين الوعاظ والقصاصين.

وآفة قصة العجوز هذه هو صالح المري القصاص الذي بينا آنفًا بالاستقراء التام لأقوال أئمة الجرح والتعديل أنه متروك الحديث، منكر الحديث، واهي الحديث، يحدث بالواهيات والمنكرات، وظهرت في رواياته الموضوعات، لا تحل الرواية عنه، ويزداد هذا السند وهنًا على وهن.

حيث إن قصة العجوز سندها: عن صالح المري، عن حفص بن النضر السلمي، عن ربيعة بن كلثوم، عن رجل حدثه أنه كانت له جارة عجوز.

١- فصالح المري قد بينا حاله وكفى به آفة تنسف هذا الخبر نسفًا في يم الموضوعات والمنكرات.

٢- وهذا السند من الأسانيد المنكرة التي يأتي بها حفص بن النضر السلمي، فقد قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨١٢/١٨٨/٣): «سألت أبي عن حفص بن النضر السلمي روى عن عامر بن خارجة بن سعد فقال: هذا إسناد منكر». اهـ.

قلت: والدليل على أن هذا السند منكر: قول حفص بن النضر فلقيت ربيعة بن كلثوم فحدثني أن رجلاً حدثه. اهـ.

فقوله: «حدثني أن رجلاً حدثه» يجعل هذا الخبر مبهمًا، حيث لم يصرح باسم الرجل، والمبهم هو الخبر الذي فيه راوٍ لم يصرح باسمه.

قلت: وحكم روايته: عدم القبول، وهذا الحكم بالنسبة للمبهم بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٩) قال: «ولا يقبل حديث المبهم ما لم يُسم؛ لأن شرط قبول الخبر عدالة راويه، ومن أبهم اسمه لا تعرف عينه فكيف تعرف عدالته؟».

وبهذا التحقيق يتبين قول الإمام أحمد بن حنبل الذي أوردناه آنفًا: «صالح المري صاحب قصص يقص على الناس، ليس هو صاحب حديث...».

ويتحقق فيه قول السعدي:

«صالح المري كان قاصًا واهي الحديث». اهـ.

وبهذا تصبح قصة «الشاب الأنصاري الذي عاش بعد الموت» قصة واهية، وشاهدها قصة «العجوز وابنها الذي يسعى عليها» باطل يزيدها وهنًا على وهن.

سادسًا: تنبيه:

لما كان كتاب «من عاش بعد الموت» للحافظ ابن أبي الدنيا (٢٠٨-٢٨١هـ) من كتب السنة الأصلية، وهي الكتب التي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيدها مرفوعة كما في الحديث (٥٧) أو موقوفة كما في الحديث (١) عن أنس بن مالك فيجب إعطاء أخبار هذا الكتاب ورواة هذه الأخبار حقها من النقد الصحيح، وذلك بالرجوع إلى أصول الجرح والتعديل حتى يقف على حقيقة الرواة، وذلك حتى لا يغتر الخطباء والوعاظ بالأخبار التي يرويها هؤلاء القصاص.

سابعًا: بدائل صحيحة:

هناك بدائل صحيحة «لمن عاش بعد الموت» تغني عن هذه القصص الواهية أنزلها الله في القرآن الكريم لحكمة فيها رد على منكري البعث الذين بين الله حالهم، فقال تعالى: «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (النحل:٣٨).

وقال تعالى: «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» (الجاثية:٢٤).

> **"قضية البعث وقضية التوحيد هما القضيتان اللتان هزتا المجتمع المكي، ولقد كذب بهما من كان قبلهم."**

وهذا على سبيل المثال لا الحصر لأن قضية البعث وقضية التوحيد هما القضيتان اللتان هزتا المجتمع المكي، ولقد كذب بهما من كان قبلهم قال تعالى: «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ» (ق:١٢-١٤).

ومن البدائل التي تدل على أن الله سبحانه يبعث من يموت، وتدل على أن الله يحيي الموتى هذه القصص:

١- قصة البقرة والتي بدأت بقوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» (البقرة:٦٧).

إلى قوله تعالى: «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ» (البقرة:٧٢). وقوله تعالى: «فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (البقرة:٧٣).

٢- قصة الذي مر على القرية الخاوية:

قال الله تعالى: «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (البقرة:٢٥٩).

٣- قصة أصحاب الكهف في ثماني عشرة آية من سورة الكهف (٩-٢٦):

قال الله تعالى: «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا» (الكهف: ٩-١١).

إلى قوله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ» (الكهف:١٩). إلى قوله تعالى الذي فيه تستبين منه الحكمة، قال عز وجل: «وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا» (الكهف:٢١). إلى قوله تعالى: «وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا» (الكهف:٢٦).

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

الحلقة (١٧)

صفات الأفعال بين النافين لها والمثبتين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فعلى نحو ما ثبتت بقرائن اللغة والنقل والعقل صفات الخبر لله تعالى على وجه يليق بجلاله وليست تشبه صفات المخلوقين، فقد ثبتت بها كذلك كما سنرى:

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي

صفات الاختيار المعروفة بصفات الفعل.. وعلى نحو ما تضافرت الأدلة على أن لله تعالى يداً ووجهاً وعيناً ونفساً إلى آخر ما ذكرنا من صفات ذاته، وأنها صفاتٌ قديمة أبدية، فإنها تضافرت كذلك على أن له محبةً وكُرهاً، وفرحاً وغضباً، ورضاً وسخطاً، واستواء ونزولاً، وضحكاً وإعراضاً، وغيرة وتعجباً واستحياء وملالاً، ومجيئاً واتياناً ورؤية، وتخليقاً وتدبيراً - إلى آخر ما تعَلق من صفات أفعاله بإرادته: إن شاء فعله وإن شاء لم يفعله مصداقاً لقوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (البروج: ١٥، ١٦)، أو بما هو جائز في حقه تعالى من فعل الممكنات مصداقاً لقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص: ٦٨)- فإن جميع هذه الصفات باعتبار الجنس: صفاتٌ قديمة أبدية، كونه تعالى لم يزل ولا يزال فعالاً لما يريد، لم يأت عليه وقت كان معطلاً عن الفعل ثم اتصف به، وإن وقعت أنواع أفعاله وآحادها المتعلقة بما هو حادث من نحو إيجاد الخلق، شيئاً فشيئاً.

مقارنة بين نفاة صفات الفعل من أهل البدعة والضلالة، وبين مثبتيها من أهل السنة والجماعة:

وأهل السنة والجماعة على الإيمان والإقرار بنصوص صفات الفعل وحملها على ظاهرها، خلافاً لأهل البدع والضلال من المعطلة والجهمية ومتكلمة الأشاعرة وغيرهم ممن نفوا عن الله ما أثبته لنفسه وأثبتوا له من معاني تأويلات هذه الصفات: ما لم ينزل الله به سلطاناً ولا كان لهم عليه دليل، فكانت بدعهم في هذا الباب وسواه وعلى مدى القرون المتطاولة والعصور المتتالية فتنة عمياء وجهالة جهلاء، ضل وأضل بسببها جموع المسلمين إلا من رحم الله.. وكان ممن رُحم فسار على درب الصحابة وتابعيهم وتابعي تابعيهم من القرون الفاضلة -: جمع غفير من أئمة السلف "زادوا - حتى نهاية القرن التاسع - عن العشرة آلاف نفس" على حد قول ابن المبْرَد يوسف بن حسن بن عبد الهادي (ت٩٠٩) في كتابه: (جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر) ص ٢٨١، نذكر منهم ممن لخّص أو نظم عقيدة أهل السنة وذيع شرحها:

الإمام أبو جعفر المصري الطحاوي (ت٣٢١)، يقول في متن العقيدة المنسوبة إليه - ويا ليت رجالات الأزهر يقررونها باعتبارها تمثل العقيدة الوسطية بحق، على أبنائنا الطلاب في مختلف المراحل -: "ولا تَثْبُتُ قَدَمُ الإسلام إلا

> تضافرت الأدلة على أن الله محبة وكرهاً، وفرحاً وغضباً، ورضاً وسخطاً، واستواء ونزولاً، وضحكاً وإعراضاً، وغيرة وتعجباً واستحياء وملالاً، ومجيئاً وإتياناً ورؤية، وتخليقاً وتدبيراً.

على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حُظِرَ عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمُه، حَجَبَه مَرَامُه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، مُوَسْوَساً تائهاً، زائغاً شاكاً لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً.. ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زَلّ ولم يُصِب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفَرْدَانية، ليس في معناه أحد من البرية".

كما نذكر ممن ولي ما ذكرنا من القرون: الإمامَ السفاريني (ت١١٨٨)، يقول في منظومته المَنسوبة إليه والمسماة بـ (الدرة المُضية في عَقْد الفرقة المَرضِيَة) وتحت عنوان: (فصل في ترجيح مذهب السلف)

اعلم هُديتَ أنه جاء الخبر
عن النبي المقتفى خير البشر
بأن ذي الأمة سوف تفترق
بضعاً وسبعين اعتقاداً، والمحق
ما كان في نهج النبي المصطفى
وصحبه من غير زيغ وجفا
وليس هذا النص جزماً يُعتبر
في فرقة إلا على أهل الأثر
فأثبتوا النصوص بالتنزيه
من غير تعطيل ولا تشبيه
فكلُّ ما جاء من الآيات
أو صح في الأخبار عن ثقات
من الأحاديث نُمِرُّه كما
قد جاء فاسمع من نظامي واعلما
ولا نردُّ ذاك بالعقول
لقول مفتر به جهول
فعقدنا الإثباتُ يا خليلي
من غير تشبيه ولا تعطيل

> "ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زَلّ ولم يُصِب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفَرْدَانية، ليس في معناه أحد من البرية."

وكلُّ من أوّلَ في الصفات
كذاته من غير ما إثبات
فقد تعدى واستطال واجترى
وخاض في بحر الهلاك وافترى
ألم ترَ اختلاف أصحاب النظر
فيه وحُسْنَ ما نحاه ذو الأثر
فإنهم قد اقتدوا بالمصطفى
وصحبه فاقنع بهذا وكفى

إلى أن قال تحت عنوان (فصل في: ذكر الصفات التي يثبتها السلفيون ويجحدها غيرهم):

وليس ربنا بجوهر ولا
عَرَض ولا جسم، تعالى ذو العلا
سبحانه قد استوى كما ورد
من غير كيف قد تعالى أن يُحد
فلا يحيط علمُنا بذاته
كذاك لا ينفك عن صفاته
فكلُّ ما قد جاء في الدليل
فثابتٌ من غير ما تمثيل
من رحمة ونحوها كوجهه
ويده وكل ما من نهجه
وعينه وصفة النُّزول
وخلقه فاحذر من النُّزول
فسائرُ الصفات والأفعال
قديمةٌ لله ذي الجلال
لكن بلا كيف ولا تمثيل
رَغماً لأهل الزيغ والتعطيل
فمُرَّها كما أتت في الذكر
من غير تأويل وغير نُكْر
ويستحيل الجهل والعجز كما
قد استحال الموت حقاً والعمى
فكل نقص قد تعالى الله
عنه فيا بشرى لمن والاه

وكذا الشيخ العلامة حافظ بن أحمد حَكمي (ت١٣٨٨)، حيث يقول في منظومته التي أسماها: (سُلَّمُ الوصول إلى علم الأصول) والمأمول أن تُقرر على أبناء الأزهر وسائر معاهد العلم الشرعي- وذلك بعد أن ذكر من الصفات: صفات العلو والقرب والنزول والمجيء وغيرها-:

وكل ما له من الصفات
أثبتَها في محكم الآيات
أو صحّ فيما قاله الرسول
فحقُّه التسليم والقبول
نُمِرُّها صريحةً كما أتت
معَ اعتقادنا لما له اقتضت
من غير تحريف ولا تعطيل
وغير تكييف ولا تمثيل
بل قولُنا قولُ أئمة الهُدَى
طوبى لمن بهديهمْ قد اهتدى
وسَمِّ ذا النوع من التوحيد
توحيد إثبات بلا ترديد

لكن معطلة الجهمية وقد تبعهم متأخرو الأشاعرة، فهموا من الصفات الفعلية وكل ما لم ترقه عقولهم القاصرة من الصفات الذاتية والخبرية: فهموا منها ما يليق بصفات المخلوقين، فطفقوا - من ثَمّ - يتجاهلونها تارة، ويُفوِّضون معانيها تارة، ويعطلون نصوصها ويعمَدون إلى تأويلها وإخراجها عن ظاهر معناها تارة، وهذا جُرم بحق هذه الأمة وعقيدتها تبعهم فيه كثيرون، وقد تولى كبر هذا الجرم صوفي يُدعى: إبراهيم اللقاني

(ت١٠٤١)، الذي ما كان منه إلا أن عطل - كنظرائه ممن سبقوه أو لحقوا به، وبزعم تنزيه الله عن مشابهة الحوادث - جميع ما ثبت من صفات الخبر والفعل في نصوص الكتاب وصحيح السنة، وذلك بجرة قلم وببيت واحد من القصيد قال فيه:

وكل نص أوهم التشبيها
أوِّله أو فوِّض ورُم تنزيها

فدعا في الشطر الثاني منه إلى: تعطيل النصوص بنفي ما اقتضته من صفات كماله سبحانه ونعوت جلاله، فإن المؤوِّل - على نحو ما أفضنا في كتابنا: (موقف السلف من تفويض الصفات) - ما أوَّل إلا بعد أن شبه أولاً واعتقد أن ظاهر كلام الله محال وباطل، ثم عطَّل ثانياً، ثم نسب المتكلم بالنصوص (وهو الله ورسوله) إلى ما هو ضد البيان والهدى والإرشاد، ثم تلاعب بعد ذلك بالنصوص وانتهك حرمتها.. كما دعا فيه إلى استجهال الأنبياء والمرسلين وعلى رأسهم سيد ولد آدم ولا فخر ومن ورائه الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، واتهمهم بأنهم كانوا يقرؤون آي وأحاديث الصفات ولا يعرفون معناها ولا ما أريد بها، والحق أن التفويض إنما يكون فقط في الكيف كما في عبارة الإمام مالك الآتي ذكرها.. كما أنه كذلك أخطأ طريق التنزيه الذي كان عليه سيد الموحدين صلى الله عليه وسلم وجيل الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والذي حذر منه الطحاوي موضحاً بأن من أوهم التشبيه: زل ولم يصب التنزيه.. ذلك أن التنزيه في شرع الله ولدى جماعة الحق وأهل السنة والراسخين في العلم، يعني:

"التسليم المطلق للنصوص بعدم تعطيلها، مع تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الأعراض والأبعاض والأعضاء والأجزاء، سبيل أهل السنة."

التسليم المطلق للنصوص بعدم تعطيلها، مع تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين وعن الأعراض والأبعاض والأعضاء والأجزاء، واعتبار ما أطلقه تعالى على نفسه من صفات الذات وكذا ما أطلقه على نفسه من صفات الأفعال: صفات كمال، يجب أن تُحمل على ظاهرها لأننا لسنا مكلفين بتأويل هذه النصوص تأويلاً يخرجها عما تقتضيه قرائن اللغة والشرع، وبخاصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده لم يخوضوا في هذه الصفات ولا تأولوها، وإنما أثبتوها على أنها صفات للذات بلا تفريق بينها، وأن العقل قاصر عن إدراك الذات الإلهية ومن ثم فهو قاصر عن إدراك صفاتها.

ويُمثل هذا المنهج: مالكٌ إمام دار الهجرة وشيخه ربيعة، بقولهما - تأثراً بما ورد في ذلك عن أم سلمة زوج النبي- عليه السلام-، وفيما نقله الذهبي في (العلو) ص ٩٨، ١٠٤ وغيره - وقد سئلا عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ (طه/٥): (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول).. كما يمثله أحمد والشافعي وأبو حنيفة من المتقدمين، وجاء من المتأخرين ممن لا يحصى عددهم من يَدْعَمُ هذا المذهب وينصرُه، فهو من ثمَّ دون سواه: قول أهل السنة والجماعة قاطبة.

وفي رد ما ذكره اللقاني وكل من قال بقوله - نظماً أو متناً، قبلاً أو بَعداً، وما أكثرهم! - من متهمي المثبتين بالتشبيه بزعم أن نصوص الصفات موهمة للتشبيه.. يقول الإمام الجويني ت ٤٣٨ والد إمام الحرمين أبو المعالي في رسالته المسماة بـ (النصيحة في صفات الرب جل وعلا) ص ٤٠: ٤٣ وهو بمختصر العلو للألباني ص ٢٩: ٣١ ومجموعة الرسائل المنيرية ١/١٧٤: ١٨ - وذلك بعد تراجعه بالطبع (أي الإمام الجويني) عما كان يعتقده من تأويلات وبعد أن هداه الله لترك طريق أهل الكلام إلى طريق أهل الحق، على ما أفضنا في كتابنا: (سيراً على خُطى الأشعري.. أئمة الخلف يتراجعون إلى ما تراجع إليه) ص ٦٩: ٧٢ - يقول ما نصه: "والذي شرح الله به صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا (الاستواء) بـ (الاستيلاء) و(النزول) بـ (نزول الأمر)، و(اليدين) بـ (النعمتين والقدرتين)، هو: علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولاً يليق به، ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه، وعطلوا ما وصف الله به نفسه.. نقول - في

كلام له يَتجه به بتعقل، إلى كل متأول مدع الانتساب إلى الأشعري دون ما آخذ بقوله ولا إذعانٍ بمعتقده:-

لا ريب أنا نحن وإياهم، متفقون على إثبات صفات (الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والكلام) لله تعالى، ونحن قطعاً لا نعقل من (الحياة) إلا هذا العَرَض الذي يقوم بأجسامنا، وكذلك لا نعقل من (السمع والبصر) إلا أعراضاً تقوم بجوارحنا، فكما أنهم يقولون: (حياته ليست بعرَض، وعلمه كذلك، وبصره كذلك، وإنما هي صفات كما يليق به لا كما يليق بنا).. فكذلك نقول نحن: (حياته معلومة وليست مكيفة، وعلمه معلوم وليس مكيفاً، وكذلك سمعه وبصره معلومان وليس جميع ذلك أعراضاً، بل هو كما يليق به.. ومثل ذلك بعينه: فوقيته واستواؤه ونزوله، ففوقيته معلومة ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر، فإنهما معلومان ولا يُكيَّفان.. وكذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلوم ثابت كثبوت السمع والبصر غير مكيف.. وكذلك نزوله ثابت معلوم غير مكيف بحركة وانتقال يليق بالمخلوق، بل هو كما يليق بعظمته وجلاله.. وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت، غير معقولة له من حيث التكييف والتحديد).

فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه، أعمى من وجه.. مبصراً من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد.. وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات

" حياة الله معلومة وليست مكيفة، وعلمه معلوم وليس مكيفاً، وكذلك سمعه وبصره معلومان وليس جميع ذلك أعراضاً، بل هو كما يليق به. "

لما وصف الله به نفسه، وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف، وذلك هو مراد الله تعالى منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها، ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، لا فرق بين الاستواء والسمع، ولا بين النزول والبصر، لأن الكل ورد في النص.

فإن قالوا لنا في (الاستواء): شبَّهتم، نقول لهم في السمع: شبهتم، ووصفتم ربكم بالعَرَض!.. وإن قالوا: لا عَرَض بل كما يليق به، قلنا: في الاستواء والفوقية لا حصر، بل كما يليق به، فجميع ما يُلزموننا في الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب من التشبيه.. نلزمهم به في الحياة والسمع والبصر والعلم، فكما لا يجعلونها أعراضاً، كذلك نحن لا نجعلها جوارح ولا مما يوصف به المخلوق!!.

وليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى التأويل والتحريف.. فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض!!.. فما يُلزموننا به في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نُلزمهم في هذه الصفات في العَرَضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبوننا فيها إلى التشبيه سواء بسواء.

ومن أنصف، عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا، ودان الله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التعطيل والتشبيه والتأويل والوقوف.. هذا مراد الله منا في ذلك، لأن هذه الصفات وتلك، جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأوّلناها، كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية" ا.هـ

والحق أن كلام الإمام الجويني هذا - ويا ليته يدرس أيضاً على أبنائنا بالأزهر بدلاً من دخن اللقاني ودخله - أبلغ رد وأقوى حجة وأدمغ برهان على دحض دعوى لزوم إثبات صفات الخبر والأفعال لمعاني التشبيه والتجسيم، تلك الدعاوى العريضة التي هوى بسببها منكرو الصفات إلى أحط درجات الإسفاف، وكفَّروا بسببها - قديماً وحديثاً - ثلة من علماء سلفنا الصالح وتابعيهم بإحسان، وردٌّ كذلك على اتهامهم المثبتة بأنهم حشوية ومجسمة ومشبِّهة.. إلخ.. وهو في مجمله لا يختلف عما ذكره سابقوه ولاحقوه من الأئمة المعتد بعلمهم على ما سيأتي.

فإلى لقاء آخر نستكمل الحديث.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

اليقين بالله سفينة النجاة (٢)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد أهل اليقين..

وبعد: هيا بنا نحاول أن نركب سفينة النجاة في وسط أمواج الفتن المتلاطمة التي لا تنتهي حتى ننجو بسلام وأمان ونصل إلى شواطئ الجنة.

اعلم أخي في الله: أن اليقين بالله للمسلم كالماء والهواء، فإذا حقق المسلم اليقين بالله حصل السعادة وذاق النعيم في الدنيا والآخرة.

إعداد/ صلاح عبد الخالق محمد

وقد تكلمنا عن فضائل اليقين بالله في اللقاء السابق وملخصه:

-أعظم زاد للسائر إلى الله عز وجل اليقين بالله، فهو المثبت على صراط الله حتى يلقى العبد ربه، فإذا ادلهمت الخطوب، واحلولك الظلام، وعبست في وجهك الأيام تصدى لذلك اليقين بالله، فصار الحزن فرحا، والضيق سعة، والعسر يسراً. فأعظم باليقين للمؤمن من دواء، وأنعم به من شفاء. دروس للشيخ محمد المختار الشنقيطي (١٢/٢٧).

ومن الآثار الحسنة لليقين بالله:

أولاً: النجاة من أهوال القبر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِه، غَيْرَ فَزِعٍ، وَلا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الإِسْلامِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّه فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ اللَّه؟ فَيَقُولُ: مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّه، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّه، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا، وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، وَيُقَالُ لَهُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّه، وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِه، فَزِعًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا

الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلاً، فَقُلْتُهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مُتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى " سنن ابن ماجه (٤٢٦٨)، صحيح الجامع (١٩٦٨).

(عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ) هَذَا مَقْعَدُكَ لأَنَّكَ كُنْتَ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْيَقِينِ فِي أَمْرِ الدِّينِ (وَعَلَيْهِ مُتَّ) (وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ): يَعْنِي كَمَا تَعِيشُ تَمُوتُ وَكَمَا تَمُوتُ تُحْشَرُ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى): لِلتَّبَرُّكِ أَوْ لِلتَّحْقِيقِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ» (يوسف: ٩٩). (مرقاة المفاتيح: ١/٢٢١).

في هذا الحديث بشارات لأهل اليقين منها:

١- الأمن من عذاب القبر: لا فزع ولا خوف لأهل اليقين، بل هم في أمن وأمان، واليقين سفينة النجاة

٢- شهادة الملائكة بأنك عشت في الدنيا على اليقين ومت على اليقين وتبعث على اليقين

ثالثا: السعادة والنعيم يوم القيامة:

هيا بنا نواصل ركوب سفينة النجاة باليقين بالله حتى نصل بسلام وأمان إلى شواطئ الجنة

> **"اليقين بالله هو المثبت على الصراط يوم تزل الأقدام."**

قال الله تعالى: « وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » (البقرة: ٤، ٥).

- وقال الله تعالى: «وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» "الآخِرَة": اسم لما يكون بعد الموت، وخصه (بالذكر)، لأن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان؛ ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل. تفسير السعدي (١/٤٠).

فمن حقق اليقين بالآخرة قولا وعملا نال الهداية على الصراط المستقيم، والهداية والفوز بالسعادات ومنها:

١- وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ: أَي الْمُنْجِحون الْمُدْرِكونَ مَا طَلَبُوا عِنْدَ اللهِ بِأَعْمَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، مِنَ الْفَوْزِ بِالثَّوَابِ، وَالْخُلُودِ فِي الْجَنَّاتِ، وَالنَّجَاةِ مِمَّا أَعَدَّ اللهُ لأَعْدَائِهِ مِنَ الْعِقَابِ. تفسير الطبري (١/٢٥٠)

٢- البشارة بالجنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «اذهَبْ فَمَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الحائط يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلاَّ الله، مُسْتَيقِنًا بهَا قلبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ». صحيح مسلم(٥٢).

- هذه بشارة عظيمة أن من شهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنة؛ لأن الذي يقول هذه الكلمة مستيقنا بها قلبه لابد أن يقوم بأوامر الله، ويجتنب نواهي الله، لأنه يقول لا معبود بحق إلا الله، أما من قالها بلسانه ولم يوقن بها قلبه- والعياذ بالله- فإنها لا تنفعه، فهاهم المنافقون. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/٨٧٠).

- ما قيمة هذا القيد: (مستيقناً بها قلبه)؟ يَستحيل لرجل يستيقن أن الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له ثم يُشرك به، ويَستحيل على رجل يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله تبارك وتعالى هو المشرِّع وله الحكم والأمر ثم يَحتكم إلى غيره، ويَستحيل على رجل مس الإيمان قلبه أن يَعصي الله تبارك وتعالى مستمرئاً للمعصية، هذا كله مستحيل. (دروس للشيخ أبي اسحاق الحويني: ١٠/١٢٠).

٣- هو من أهل الجنة:

عن شَدَّاد بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: " سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ

إلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ" قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». (صحيح البخاري: ٦٣٠٦).

- (سيد الاستغفار) أي أفضل أنواع الأذكار التي تطلب بها المغفرة هذا الذكر الجامع لمعاني التوبة كلها، والاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة الستر للذنوب والعفو عنها. قال الطيبي: لما كان هذا الدعاء جامعا لمعاني التوبة كلها أُستعير له اسم (السيد) وهو في الأصل الرئيس الذي يُقصد في الحوائج ويُرجع إليه في الملمات. من قالها من النهار مُوقنا بها (أي مُخلصا من قلبه مُصدقا بثوابها)، فمات من يومه ذلك قبل أن يُمسي (أي يَدخل في المساء) فهو من أهل الجنة، أي ممن استحق دخولها مع السابقين الأولين أو بغير سبق عذاب). (فيض القدير: ٤/١٥٧).

- اليقين الكامل يَحصل للعبد بأربعة أمور هي:

الأول: أن يعلم العبد بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا تصريف ولا تدبير لجميع المخلوقات إلا بأمر الله وحده، فكل المخلوقات والموجودات ليس بيدها شيء. والأشكال والأسباب، والبواعث والنتائج، لا تأتي ولا تحصل ولا تفعل إلا بأمر الله وإذنه وإرادته سبحانه، ولا ينفع شيء في الكون ولا يضر إلا بإذن الله.

"من اليقين: أن يعلم العبد أنه لا حول ولا قوة إلا بالله وحده."

الثاني: أن يتيقن العبد أن الله هو القادر وحده لا شريك له، وأن قدرته مطلقة، وأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يحتاج لغيره في إرادته وأفعاله، وأنه خالق كل شيء، وبيده الأمر كله، وهو المعبود الذي يستحق العبادة وحده دون سواه وهذا معنى (إلا الله).

الثالث: أن السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة هي بالإيمان والتقوى، ولا يمكن أن ينالها الإنسان في حياته إلا باقتدائه بالأسوة الحسنة محمد- صلى الله عليه وسلم- في جميع أحواله، كما قال سبحانه: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب: ٢١).

- فقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيفية الاستفادة من خزائن الله بالإيمان والتقوى، وإن كانت الأسباب طريقا آخر. فعلمنا كيفية العبادة وأوقاتها، وكيفية المعاشرات والمعاملات وأداء الحقوق والحلال والحرام، وكل ما تحتاجه الإنسانية لسعادة الدارين.

الرابع: أن جميع الأجسام والأشكال والأسباب والأعمال لا تفيد بغير طريق ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم، فالتجارة والصناعة والزراعة، والوظائف والمعاملات، والحكم والولايات هي وأصحابها في خطر دائم إن لم يكونوا جميعاً على طريق محمد- صلى الله عليه وسلم. موسوعة فقه القلوب (٧٩٦/١)

كيف نقوى اليقين بالله فى قلوبنا؟

- قَالَ سَهْلٌ: الْيَقِينُ مِنْ زِيَادَةِ الإِيمَانِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الإِيمَانَ كَسْبِيٌّ. وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّهُ كَسْبِيٌّ بِاعْتِبَارِ أَسْبَابِهِ. مدارج السالكين (٣٧٥/٢). ومنه:

١- دعاء الله تعالى:

- عن ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ

مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا» (سنن الترمذي (٣٥٠٢)، وحسنه الألباني).

(ومن اليقين) أي وارزقنا من اليقين بك (ما يهون) أي يسهل (علينا مصائب الدنيا) بأن نعلم أن ما قدرته لا يخلو عن حكمة ومصلحة واستجلاب مثوبة، وأنك لا تفعل بالعبد شيئا إلا وفيه صلاحه. (فيض القدير: ١٢/٥).

٢- تربية النفس والأولاد على اليقين بالله:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» سنن الترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني

- في هذا الحديث يعلم النبي صلى الله عليه وسلم الأمة كلها أن كل شيء في هذه الحياة إنما هو بقدر الله تعالى، فيوقن المسلم بأن كل شيء مكتوب ومقدر، فيزداد يقينا وتثبيتا بأنه وحده بيده النفع والضر، وأن هذا أمر مكتوب في اللوح المحفوظ.

٣- صحبة أهل اليقين:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ؛ فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ " حَسَّنَهُ الأَلْبَانِي صَحِيحِ الجامع: ٢٢٢٣، سُنَنِ ابْنِ مَاجَة ٢٣٧.

قال تعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا» (الكهف: ٢٨).

> ”أهل اليقين مفاتيح للخير في كل زمان ومكان.“

٤- الإكثار من ذكر الموت:

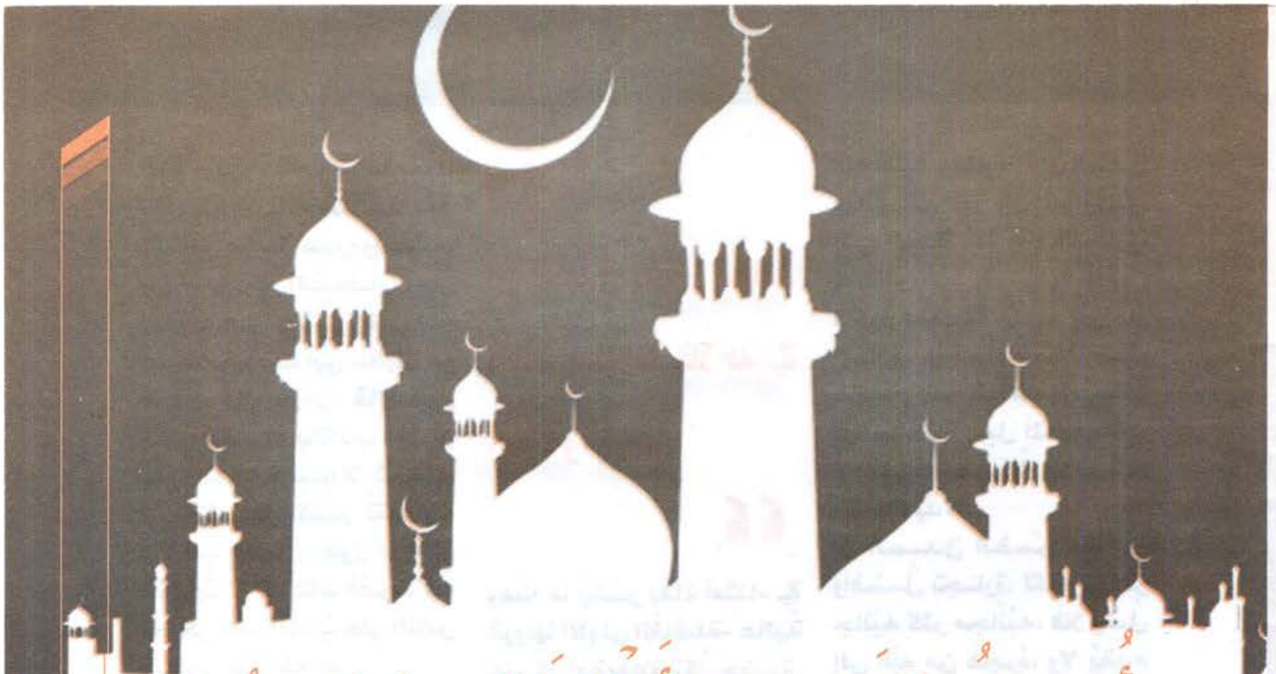
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي ضِيقٍ إِلاَّ وَسَّعَهُ اللهُ وَلاَ ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلاَّ ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ". (صحيح الجامع: ١٢١١).

- قال القرطبي: ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية والتوجه في كل لحظة إلى الآخرة الباقية ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالين ضيق وسعة، ونعمة ومحنة، فإن كان في حال ضيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه ما هو فيه من الاغترار بها والركون إليها. (فيض القدير: ١٠٩/٢).

٥- الإكثار من الاستغفار:

- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَعَلَّمُوا سَيِّدَ الاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ " صحيح البخاري (٦٣٠٦)، والسنن الكبرى للنسائي (١٠٢٢٨) واللفظ له.

فأكثروا من هذا الدعاء والحمد لله رب العالمين.



أُصُولُ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَجَوَامِعُهَا

الحلقة الأولى

مَآثِرُ الصِّدْقِ وَأَثَرُهُ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِينَ

الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الظلم.. وبعد:

إعداد/ د. عماد عيسى

فَقَدْ جاءَتْ جوامعُ أخلاقِ نبينا صلى الله عليه وسلم- والتي تُعَدُّ أصولَ الأخلاقِ الكريمةِ والشمائلِ النبيلةِ- في حديثِ بدءِ الوحيِ حينَ تحدثتْ خديجةُ الطاهرةُ الزكيةُ- رضي الله عنها- يومَ قالتْ قولةَ رُشْدٍ حفظهَا التاريخُ لها فلا تُنسَى على مَرِّ الدَّهرِ: "إنَّكَ لتصلُ الرحمَ وتَقري الضيفَ وتحملُ الكلَّ وتَكْسِبُ المعدومَ وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ" وفي بعضِ الرواياتِ كما في فتح الباري ١/٢٥ (٣): "وتصدقُ الحديثَ وتؤدِّي الأمانةَ"

فأصولُ الأخلاقِ اجتَمَعَتْ في هذا الحديثِ، قالَ الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (ثُمَّ اسْتَدَلَّتْ عَلَى مَا أَقْسَمَتْ عَلَيْهِ مِنْ نَفْيِ ذَلِكَ أَبَدًا بِأَمْرٍ اسْتِقْرَائِيٍّ وَصَفَتْهُ بِأُصُولِ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، لأَنَّ الإِحْسَانَ إِمَّا إِلَى الأَقَارِبِ أَوْ إِلَى الأَجَانِبِ، وَإِمَّا بِالْبَدَنِ أَوْ بِالْمَالِ، وَإِمَّا عَلَى مَنْ يَسْتَقِلُّ بِأَمْرِهِ أَوْ مَنْ لاَ يَسْتَقِلُّ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِيمَا وَصَفَتْهُ بِهِ) اهـ فتح الباري ١/٢٤ (٣)

وَنَبْدأُ بِأَجَلِّ الأَوْصَافِ وَأَشْهَرِهَا وأخصِّهَا بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ خُلُقُ الصِّدْقِ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: "وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ" فَقَدْ عُرِفَ الصِّدقَ

عَنْهُ صلى الله عليه وسلم مُنْذُ طُفُولته وَصِبَاهُ فَضْلاً عمَّا بَعْد ذَلكَ مِنْ مَرَاحِل عُمْرِه ودَعْوَته. وفِي صَحِيح البُخَارِيِّ مِنْ حَدِيث ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فِي قِصَّة أَبِي سُفيان مَعَ هِرَقْلَ، قَالَ هِرَقْل: قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِب قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ، ثم قال: وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّه اهـ.

من مآثر الصدق:

إنَّ الصدقَ عنوانُ سعادة العبد، وعلامةُ فلاحه في أولاه وأُخْراهُ، وهو لفظٌ رائقٌ ووصفٌ لائقٌ بكلِ من عرَف قيمته، وهو كلمةٌ عليها بهاءٌ ونورٌ، ومهابةٌ وجلالٌ، وطلاوةٌ وحلاوةٌ.

قال الفُضَيْلُ: لَمْ يَتَزَيَّن النَّاسُ بِشَيْءٍ أَفْضَل مِنَ الصِّدْقِ، وَطَلَب الحَلاَل (السير: ٨/٤٢٦)

وهو منزلةٌ عاليةٌ يُسمَّى أهلُها الصديقون، فهو لقبُ أهلها وإليه يُنسبونَ فما أشرفَه من نسب.

قال ابن القيم: وَلِذَلكَ كَانَ لأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَأَرْضَاهُ: ذِرْوَةُ سَنَامِ الصِّدِّيقيَّة، سُمِّيَ الصِّدِّيقَ عَلَى الإِطْلاَقِ، وَالصِّدِّيقُ أَبْلَغُ مِنَ الصَّدُوقِ وَالصَّدُوقُ أَبْلَغُ مِن الصَّادقِ اهـ مدارج السالكين ٢/٢٥٨.

وهو من الصفات التي تُعقدُ عليها مراشدُ الأمة، فما أفلحت أمةٌ إلا بصدقِ أبنائها وأجيالها،

> "إن الصدق عنوان سعادة العبد وعلامة فلاحه في أولاه وأخراه."

وهذا ما يُفسِّر بقاءَ أمتنا- في قرونها الأولى الفاضلة- عاليةً على كل أمةٍ وفائقةً كلَّ حضارة، ولكمْ قِيلَ في كثيرينَ منهم - سقى الله أيامَهم الخالية ومجالسَهم الراوية-: كَانَ مِنْ مَعَادن الصِّدْق، وَمن هَؤُلاَء: الرَّبِيعُ بنُ خُثَيْم، وعمرو بن مُرة، ومُحَمَّدُ بنُ المُنْكَدر، وغيرهم، كما قيل في كثيرين أيضًا: من أَوعيَة الصِّدْق، وكان يتحرى الصدقَ.

وهذا واضحُ الدلالة على أنَّ القومَ لم يُؤتَوا من قبَل الصدق فقدْ كانَ وافرًا لديهم ميسورًا لهم، كما كانوا مُعانِين على تَحصيله.

والصِّدقُ هو رأسُ الفضائل، وأسُّ الشمائل، وقائدٌ إلى كل خير، وقاتلٌ لكل شرٍّ وضير، ومِلاَكُ الصفات الحميدة، ووعاءُ الخصال المجيدة، وهو من أرسخ الأخلاق عِرْقًا، وأطيبها عذْقًا، فرعُه باسقٌ من دَوْحة الأَخلاق، وطلعُه نَضيدٌ في حدائق الفضائل، وزهْرته عَبِقةٌ من روضة المكارم.

أولَمْ يكفِنا قولُ نبيِّنا - صلى الله عليه وسلم - " إنَّ الصدقَ يهدي إلى البرِّ وإنَّ البرَّ يَهْدي إلَى الجَنة "؟! رواه البخاري ومسلم

فأكرمْ بفضيلة تَدْعُو إلى دَار السَّلام، وأنعمْ بخَصْلَة تَدُلُّ على دَار المُقَامَة والإِنْعَام، يَسلُك بهَا صَاحِبُها سبلَ المكارم ذُللاً، لاَ يبْغي عنها حولاً، ولا يَرْضَى بسوَاهَا بَدَلاً.

إن الصدق أنفسُ بضاعة وأفضلُ تجارة، لكنَّه لما عزَّ جانبُه كثر مجانبُه، فلا يَصلُ إلى الله من هَجَرهُ، ولا يُقدَّم عندَ الله مَنْ أهْمَله وأخَّرَهُ، فالصدقُ شيءٌ عزيزٌ، ونعتٌ نفيسٌ كالذهب الإبريز.

قال الذهبي- في كلام له ممتع-:

فَقَدْ تَرَى الرَّجُلَ وَرِعاً فِي مَأْكله، وَمَلْبَسه، وَمُعَامَلَته، وَإِذَا تَحَدَّثَ يَدْخُلُ عَلَيْه الدَّاخلُ منْ حَدِيْثه، فَإِمَّا أَنْ يَتَحَرَّى الصِّدْقَ، فَلاَ يَكْمُلُ الصِّدْقُ، وَإِمَّا أَنْ يَصْدُقَ، فَيُنَمِّقَ حَدِيْثَه لِيُمدحَ عَلَى الفَصَاحَة، وَإِمَّا أَنْ يُظهرَ أَحْسَنَ مَا عنْدَهُ ليُعَظَّمَ، وَإِمَّا أَنْ يَسكُتَ فِي مَوْضع الكَلاَمِ لِيُثْنَى عَلَيْه، وَدَوَاءُ ذَلكَ كُلِّه الانْقطَاعُ عَن النَّاس، إلاَّ منَ الجَمَاعَة اهـ (السير: ٨/٤٣٤)

وهذا الكلام من الذهبي كلام فائق رائق لا يتدبره إلا كل ذائق كما أنه دالٌ على دراية بالنفوس وعللها، فرحم الله مؤرخ الإسلام الذهبي الذي برأه الله مما قالوا عن جمود المحدثين وكودنة النقلة.

ولا عجب من شأن الذهبي

فقد كان من تلامذة الإمام الهمام حسنة الأيام شيخ الإسلام ابن تيمية صاحب الأحوال الرشيدة، والمطارحات السديدة، والمجاهدات الحميدة، ألحقنا الله بهم على أحسن حال ورزقنا مجاورتهم في دار السلام.

ولله درُّ إمام الكوفة وكيع بن الجرَّاح حين جمع الصدق في كلمة فقال: الصِّدْقَ النِّيَّةَ (الجرح: ١/٢٢٣، السير:٩/١٥٨)

والصدق هو الغاية من كل شيء ومنتهاه قال الشافعي: غَايَةُ كُلِّ أَمْرِ الصِّدْقُ (السير: ١٠/٤١) لهذا يكون السؤال عنه يوم القيامة، قال تعالى: " لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا " الأحزاب-٨.

ثم يكون عليه الجزاء قال تعالى: " لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا " الأحزاب-٢٤.

والصدقُ صفوٌ لا كدر فيه، ونقاءٌ لا شوبَ فيه، من وُفِّقَ إليه وأُلْهِمَهُ لم يأتم بسواه، ولم يحكِّم إلا إياه، بل يتخذه موردًا لا يتعدَّاه، وسبيلاً لا يتخطَّاه، ما استطاعت إلى ذلك قواه، وقدر ما سعت إليه خطاه.

أمَّا مَنْ قلَّ أخذه به، وضعُف سيرُه خلفه؛ فقصُر فيه باعه، وتقاصر عن جني ثمارها ذراعه، فقد فاتته أهمُّ الفضائل.

والصَّادقُ صديقُه مَنْ صَدَقَهُ ولَوْ كَانَ البعيدَ المُناويا، وعدُوُّهُ

> الصدق صفو لاكدر فيه ، ونقاء لاشوب فيه ، من وفق إليه لم يُحكّم إلا إياه .

مَنْ كَذَبَهُ وَلَوْ كَانَ القَرِيبَ المُصَافِيَا.

وفي جُمْلَةِ الأَمْرِ يَعْتَرِفُ المرءُ بتقْصِيرِه في وَصْفِ هَذِهِ الخَصْلَةِ الزَّكِيَّةِ، التِي مَهْمَا تَفَاصَحَ وأَبْلَغَ في الثَّنَاءِ لَمْ يَبْلُغْ مُرادَه مِنْهَا ولَمْ يُوفِّهَا حَقَّهَا حَتَّى ولَوْ كَانَ مِنْ خُطَبَاءِ إِيَادٍ أَوْ فُصَحَاءِ قَوْمِ عَادٍ.

فَضْلُ الصِّدْقِ:

جَمَعَ ابنُ القَيِّمِ فَضَائِلَ الصدْقِ في كَلامٍ وَجِيزٍ فَقَالَ في مَدَارِجِ السَّالِكِينَ:

مَنْزِلَةُ الصِّدْقِ وَهِيَ مَنْزِلَةُ القَوْمِ الأَعْظَمُ، الَّذِي مِنْهُ تَنْشَأُ جَمِيعُ مَنَازِلِ السَّالِكِينَ،

وَالطَّرِيقُ الأَقْوَمُ الَّذِي مَنْ لَمْ يَسِرْ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنَ المُنْقَطِعِينَ الهَالِكِينَ.

وَبِهِ تَمَيَّزَ أَهْلُ النِّفَاقِ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ، وَسُكَّانُ الجِنَانِ مِنْ أَهْلِ النِّيرَانِ.

وَهُوَ سَيْفُ اللهِ في أَرْضِه الَّذِي مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إلاَّ قَطَعَهُ، وَلا وَاجَهَ بَاطلاً إلاَّ أَرْدَاهُ وَصَرَعَهُ، مَنْ صَالَ بِهِ لَمْ تُرَدَّ صَوْلَتُهُ، وَمَنْ نَطَقَ بِهِ عَلَتْ عَلَى الخُصُومِ كَلِمَتُهُ.

فَهُوَ رُوحُ الأَعْمَالِ، وَمَحَكُّ الأَحْوَالِ، وَالحَامِلُ عَلَى اقْتِحَامِ الأَهْوَالِ، وَالبَابُ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ الوَاصِلُونَ إِلَى حَضْرَةِ ذِي الجَلَالِ.

وَهُوَ أَسَاسُ بِنَاءِ الدِّينِ، وَعَمُودُ فُسْطَاطِ اليَقِينِ.

وَدَرَجَتُهُ تَالِيَةٌ لِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ العَالَمِينَ، وَمِنْ مَسَاكِنِهِمْ في الجَنَّاتِ تَجْرِي العُيُونُ وَالأَنْهَارُ إِلَى مَسَاكِنِ الصِّدِّيقِينَ. كَمَا كَانَ مِنْ قُلُوبِهِمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ في هَذِهِ الدَّارِ مَدَدٌ مُتَّصِلٌ وَمَعِينٌ. اهـ

طَلَبُ الصِّدْقِ:

لِعَظِيمِ مَنْزِلَةِ الصِّدْقِ (أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ: أَنْ يَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ مُدْخَلَهُ وَمُخْرَجَهُ عَلَى الصِّدْقِ. فَقَالَ « وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا » (الإسراء: ٨٠) وَأَخْبَرَ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ سَأَلَهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ لِسَانَ صِدْقٍ في الآخِرِينَ. فَقَالَ «وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ في الآخِرِينَ» (الشعراء: ٨٤) اهـ مدارج السالكين ٢/٢٦٠ – ٢٦١

أَنْوَاعُ الصِّدْقِ:

الأَوَّلُ: صِدْقُ المَنْطِقِ وَاللِّسَانِ:

صِدْقُ اللِّسَانِ هُوَ رَأْسُ مَالِ العَبْدِ فَإِنْ حَفِظَهُ رَبِحَ، وَإِنْ فَقَدَهُ فَقَدْ فَقَدَ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ: الصِّدْقُ مُوَافَقَةُ الحَقِّ في السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ، وَحَقِيقَةُ الصِّدْقِ القَوْلُ بِالحَقِّ في مَوَاطِنِ الهَلَكَةِ (السير: ١٥/٢٣٣)

وقـال ابـن القيم: الصِّـدْقُ في الأقـوال: اسْتِواءُ اللِّسان على الأقوال، كاستواء السُّنبُلة على ساقها. اهـ مدارج السالكين

مَنْ صَدقَ في مَقاله دخل كلامُهُ الأُذُنَ بلا إذْن، وانشرح لحديثه القلبُ وانفسح، وهذا شأنُ كلِّ صادق، فما صَدقَ عبدٌ مع الله إلا أقبل بقُلوب النَّاس عليه، لأنَّ الصِّدقَ يأسرُ النُّفوسَ من حيثُ لا تَشعُرُ، قال محمد بْنُ وَاسع، قَالَ: إذَا أَقْبَلَ العَبْدُ بِقَلْبِه عَلى اللَّه، أقْبَلَ اللَّه بقُلُوبِ العِبَادِ عَلَيْه (السير: ١٢١/٦)

وَرَوى: أنَّ قَاضِاً كَانَ يَقْرَبُ مُحَمَّد بنَ وَاسعٍ، فَقَالَ: مَا لِي أرَى القُلُوبَ لا تَخشعُ، وَالعُيُوْنَ لا تدمعُ، وَالجُلُودَ لا تقشعرُّ؟ فَقَال مُحَمَّدٌ: يَا فُلاَنُ! مَا أرَى القَوْمَ أتوا إلا مِنْ قِبَلِكَ، إنَّ الذِّكرَ إذَا خَرَجَ مِنَ القَلْبِ وَقَعَ عَلَى القَلْبِ (السير: ١٢٢/٦)

ولا يَستطيعُ غيرُ الصَّادقينَ أنْ يتسوَّرُوا حَرَمَ الصدقِ يَخبُّونَ فيه ويَضعون لأنَّ اللهَ يجعلُ بينَه وبينهمْ حجابًا مستورًا يدفعُ افتراءَ المفترينَ، وتقوُّلَ المتقوِّلينَ، ويُلجِمُ أفواهَهم، ويَردعُ أهواءَهم.

إنَّ الصدقَ رَاحةٌ للقلب لما عليه من طلاوةٍ، ولما له حلاوةٌ، ولهذا كانَ النبيُّ- صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ في جوامع كلمه: (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لا يَرِيبُكَ، فَإنَّ الصِّدقَ طُمأنينَةٌ، والكَذِبَ رِيبَةٌ) رواه الترمذي

وَلله دَرُّ القائلِ عَنْ العِلْم- وأظُنُّه وَكيعًا-: هَذِهِ صِنَاعَةٌ (أيْ العِلْم) لا يُفْلِحُ فيهَا إلاَّ الصَّادقُون.

فالصِّدْقُ يُصلحُ كُلَّ شَيْئٍ ولاَ يَصْلُحُ لكل شيء.

والقلوبُ الصَّادقةُ الصَّحيحةُ يُقبلُ كلامُ أصْحابها ولوْ كانتْ غيْرَ فصيحة ؛ لأنَّ الكلامَ قبْلَ أنْ يكونَ بلفْظه يكونُ بمعْناهُ وفحْواهُ، وصدقَ قصده ومغْزاه، وكمْ منَ النَّاسِ منْ يكتسي من بلاغة الكسائي - اللغوي الشهير- بكساء، ويرتدي من فصاحة الفرَّاء - اللغوي المعروف- بفراء، ومع ذلك فكلامه مرغوبٌ عنهُ لا فيه، يُجْعل دبْرَ الأذن، وربَّما تحْتَ القدم، لفقْدانه الصِّدقَ الذي هو عمادُ قبولِ القوْل وعمُودُه فاللهم غُفْرًا.

يا أخي!! لا تغْترَّ بزخرف الألفاظ حتى ترى - أو يرى لك متأهلٌ- ما وراءها، فإنها ألفاظٌ لها فتنةٌ ورنينٌ، مملوءةٌ وهْمًا وإيهامًا، تضْطربُ كما تضطرم الجمرةُ، ثم تجدُها طبْلاً فارغا من المعاني، وزقًا منفوخا ملؤهُ هَواء لا فائدةَ منْهُ، وتأخذُ بكَ إلى كل فاتك، وتَسْلكُ بكَ سبيلَ المهالك.

> إن الصدق راحة للقلب لما عليه من طلاوة ولما له حلاوة.

الثاني: صدقُ الأعمال:

وهو الصدقُ العمليُّ الذي يَعْذُبُ ذكْرُه على القلبِ واللسان، ويهْدي صاحبه إلى التَّمسُّك بالطاعات والعضِّ عليها بالنَّواجذ وشغل وقته بها حتى تُصبحَ حياتُه مُزْدحمةً بالعمل الصالح بحيثُ لا يَستطيعُ أنْ يفْرغَ منْ أوْراده وأحواله مع الله، وإنْ فرغَ منْ عمل نصبَ إلى غيْره، فلا يمْلكُ أنْ يُضيِّعَ منْ وقْته شيْئًا، ومثْل هذا الصِّنْف منَ النَّاس- مع شدَّة مُعاناته واجْتهاده- تجدُهُ أسْعدَ النَّاسِ قلْبًا، وأشْرحهمْ صدْرًا، وأطْيبَهم نفْسًا، وأعْظمَهُم طمأنينةً وأسرَّهم خاطرًا، لا يَمْشي إلاَّ في سَداد، ولا يَسْلكُ إلاَّ سَبيلَ الرَّشاد، وهذه أمُورٌ تَحْتاجُ إلى الشَّرح الكافي والبيان الشافي طلبًا للأجْر الوافي وإليْكَ ذلكَ مَعَ إمَام هَذَا الشَّأنِ وهُوَ ابْنُ القيِّم رَحمَهُ الله:

قَالَ ابنُ القيِّم: وَالصِّدْقُ في الأعْمال: اسْتواءُ الأفْعال عَلَى الأمْر وَالمتابعة، كاسْتواء الرَّأس عَلى الجسد.

وَلهذا أخْبرَ تَعَالى عَنْ أهْل البرِّ، وَأثْنَى عَليْهمْ بأحْسن أعْمالهمْ: منَ الإيمان، وَالإسْلام، وَالصَّدقة، وَالصَّبْر، بأنَّهُمْ أهْلُ الصِّدْق فَقَال:

«وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا۟ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » (البقرة: ١٧٧)

وهذا صريحٌ في أنَّ الصِّدقَ بالأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ، وأنَّ الصِّدقَ هو مقامُ الإسلامِ والإيمانِ اهـ.

الثالث: الصِّدقُ في الأحوالِ

اعلمْ أيُّها المسترشدُ: أنَّ من البدائه المسلَّمة التي لا شيةَ فيها والأظهرُ ظهورًا من الشمس الساطعة في ضُحاها أنَّ استقامةَ القلب هي ملاكُ الأمرِ كلِّه، وصدْقُ الحالِ هو استقامةُ القلبِ بالإخلاصِ وحُبُّ السُّنَّةِ والمتابعةِ وبذْلُ الجهدِ بالاجتهادِ في الأعمالِ الصالحةِ، ومَنْ جمعَ الأمرَيْنِ معًا فقدْ بلغَ المنزلَ «وإن كانتْ لكبيرةً إلا على الذين هدى الله».

قال ابنُ القيِّمِ: الصِّدقُ في الأحوالِ: استواءُ أعمالِ القلبِ والجوارحِ على الإخلاصِ، واستفراغُ الوُسْعِ، وبذْلُ الطاقةِ، فبذلك يكونُ العبدُ من الذين جاءوا بالصِّدقِ، وبحسبِ كمالِ هذه الأمورِ فيه وقيامِها به: تكونُ صدِّيقيَّتُه، ولذلك كان لأبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنه وأرضاه: ذروةُ سنامِ الصِّدِّيقيَّةِ، سُمِّيَ الصِّدِّيقَ على الإطلاقِ، والصِّدِّيقُ أبلغُ من الصَّدوقِ والصَّدوقُ أبلغُ من الصَّادقِ اهـ.

الصِّدقُ مع الله:

الصِّدقُ مع الله تعالى منزلةٌ عظيمةٌ ما أسناها وأحلاها، وخصلةٌ بهيَّةٌ ما أجلَّها وأجلاها،

> **« إن استقامة القلب هي ملاك الأمر كله وصدق الحال هو استقامة القلب بالإخلاص وحب السنة والمتابعة . »**

وإذا أخذَ العبدُ بالصِّدقِ وعاملَ اللهَ به وعرفَ قدرَ الصِّدقِ ورعاه حقَّ رعايتِه، جعله الله للناس إمامًا، ونصبَهُ لهم علَمًا همامًا، وهل علا مَنْ علا، وارتفع من ارتفع إلا بالصدق؟!

عن مالك بن دينار، أنَّه بلغه أنَّ لقمانَ الحكيم، قيل له: ما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدقُ الحديثِ، وأداءُ الأمانةِ، وتركي ما لا يعنيني (الحلية: ٦/٣٢٨)

أمَّا الذين كذبوا الله ورسوله فباعوا باقيًا بفانٍ ونفيسًا بخسيسٍ وعظيمًا بحقيرٍ فهؤلاء رضوا بأنْ يكونوا مع الخوالف، والقاعدين فماذا يفعلُ الله بهم وقد آثروا الكذبَ على الصِّدقِ واهتمُّوا بالمظهرِ وتركوا المخبرَ وراءهم ظهريًّا؟!

وإنما يُكال للعبد بمثل ما كال بخسًا ببخس، وإيفاءً بإيفاء فمنْ وفى وُفِّيَ له ومنْ طفَّفَ طُفِّفَ عليه.

إذا كان هذا فعل عبد بنفسه فمنْ ذا له من بعد ذلك يُكرمُ ونعوذُ بالله منْ هؤلاء الكذبة الذين إذا تصبَّح المرءُ بطلعة أحدهم ما حيَّاه ولا فداه، بل أبغضَه فيه وعاداه، وتعوَّذ بالله ممَّن لا يُفلح في دينه ولا دُنياه.

وهذا موقف- والله- ينصدعُ منه قلبُ المؤمنِ ويهزُّ رأسه طربًا ويقلِّبُ كفَّيه عجبًا من بُلوغِ الصِّدقِ هذا المبلغ.

عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن ابن الزُّبير قال: لمَّا وقف الزُّبير يوم الجمل، دعاني. فقمتُ إلى جنبه، فقال: يا بُنيَّ! إنَّه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنِّي لا أراني إلا سأُقتل اليوم مظلومًا، وإنَّ منْ أكبر همِّي لديْني، أفترى ديْننا يُبقي منْ مالنا شيئًا؟

يا بُنيَّ! بعْ ما لنا، فاقضِ ديْني، فأوصي بالثُّلث، وثُلث الثُّلث إلى عبد الله، فإنْ فضلَ منْ مالنا بعد قضاء الدَّيْن شيْءٌ، فثُلثٌ لولدك.

قال هشام: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزُّبير: خُبيبٌ، وعبَّادٌ، وله يومئذ تسعُ بنات.

قال عبد الله: فجعل يُوصيني بديْنه، ويقول: يا بُنيَّ! إنْ عجزْتَ عنْ شيْءٍ منْه، فاستعنْ بمولاي.

قال: فوالله ما دريْتُ ما عنى حتَّى قُلتُ: يا أبة، منْ مولاك؟

قال: الله -عزَّ وجلَّ-.

قال: فوالله ما وقعتُ في كُربةٍ منْ ديْنه، إلا قُلتُ: يا مولى الزُّبير اقض عنه، فيقضيه. (السير: ١/٦٥ - ٦٦).

للحديث بقية إن شاء الله تعالى.

التشهد الأول والأخير في الصلاة

(حكمهما-صفتهما-ما يقال فيهما)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فحديثنا في هذا العدد حول التشهد الأول والأخير في الصلاة، وعن حكمهما، وصفتهما، وما يُقال فيهما، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

التشهد في وسط الصلاة هو التشهد الأول، والذي في آخرها هو التشهد الأخير، وهذان التشهدان واجبان، لا يجوز تركهما أو ترك أحدهما وإليك تفصيل الكلام عليهما.

إعداد/ د. حمدي طه

أولاً: حكمه:

١- التّشهّد الأخير: التّشهّد في القعدة الأخيرة في الصّلاة واجب عند الحنفيّة، فالفرض عند الحنفيّة في هذه القعدة هو الجلوس فقط، أمّا التّشهّد فواجب، يجبر بسجود السّهو إن ترك سهوًا، وتكره الصّلاة بتركه تحريمًا، والمذهب عند المالكيّة أنّه سنّة، وفي قول واجب. ويرى الشّافعيّة والحنابلة أنّه ركن من أركان الصّلاة، وهذا ما يسمّيه بعضهم فرضاً أو واجباً وبعضهم ركناً، تشبيها له بركن البيت الّذي لا يقوم إلا به. وفي الفرق بين الفرض وبين والواجب عند الحنفيّة، ومعنى الوجوب عند غيرهم تفصيل يرجع فيه إلى مظانّه من كتب الأصول. (انظر الموسوعة الفقهية الكويتية ١٣/٣٠).

واحتج الحنفيّة، بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الأعرابيّ: «إذا رفعت رأسك من آخر سجدة، وقعدت قدر التّشهّد، فقد تمّتْ صلاتُك»

وَوَجْهُ الاسْتِدْلَالِ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (عَلَّقَ التَّمَامَ) أَيْ تَمَامَ الصَّلَاةِ (بِالْفِعْلِ قَرَأَ أَوْ لَمْ يَقْرَأْ) ؛ لأَنَّهُ عَلَّقَهُ بِأَحَدِ الأَمْرَيْنِ مِنْ قِرَاءَةِ التَّشَهُّدِ وَالْقُعُودِ وَأَحَدُهُمَا وَهُوَ الْقِرَاءَةُ لَمْ تُشْرَعْ بِدُونِ آخَرَ حَيْثُ لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ فِيهِ، وَانْعَقَدَ عَلَى ذَلِكَ الإِجْمَاعُ فَكَانَ الْفِعْلُ مَوْجُودًا عَلَى تَقْدِيرِ الْقِرَاءَةِ أَلْبَتَّةَ فَكَانَ هُوَ الْمُعَلَّقَ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ لاسْتِلْزَامِهِ الآخَرَ (العناية شرح الهداية ١/٤٤٦).

> "التشهد في وسط الصلاة وفي آخرها واجبان، لايجوز تركهما أو ترك أحدهما."

(وَمِنْهَا) التَّشَهُّدُ فِي الْقَعْدَةِ الأَخِيرَةِ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ فَرْضٌ، وَجْهُ قَوْلِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاظَبَ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ عُمُرِهِ، وَهَذَا دَلِيلُ الْفَرْضِيَّةِ.

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «كُنَّا نَقُولُ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ التَّشَهُّدُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ»، أَمَرَنَا بِالتَّشَهُّدِ بِقَوْلِهِ: « قُولُوا »، وَنَصَّ عَلَى فَرْضِيَّتِهِ بِقَوْلِهِ قَبْلَ أَنْ

يُفْرَضَ التَّشَهُّدُ.

قال الكاساني في الرد على ذلك: قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأَعْرَابِيِّ (إذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ مِنْ آخر سَجْدَة وَقَعَدْتَ قَدْرَ التَّشَهُّد فَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُك) أَثْبَتَ تَمَامَ الصَّلَاةِ عِنْدَ مُجَرَّدِ الْقَعْدَةِ.

وَلَوْ كَانَ التَّشَهُّدُ فَرْضًا لَمَّا ثَبَتَ التَّمَامُ بِدُونِهِ، دَلَّ أَنَّهُ لَيْسَ بِفَرْضٍ لَكِنَّهُ وَاجِبٌ بِمُوَاظَبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُوَاظَبَتُهُ دَلِيلُ الْوُجُوبِ(١)، فِيمَا قَامَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ فَرْضِيَّتِه، وَقَدْ قَامَ هَهُنَا وَهُوَ مَا ذَكَرْنَا فَكَانَ وَاجِبًا لَا فَرْضًا وَاَللَّهُ أَعْلَمُ وَالْأَمْرُ فِي الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى الْوُجُوبِ دُونَ الْفَرْضِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ خَبَرُ وَاحِدٌ(٢) وَأَنَّهُ يَصْلُحُ لِلْوُجُوبِ لَا لِلْفَرْضِيَّةِ (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٢/١٤٦)

واحتج المالكية بقوله صلى الله عليه وسلم للأعرابي (ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ثم اجلس حتى تطمئن جالسًا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها، فإذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك) ولم يذكر التشهد. (الذخيرة، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ٢/٢١٣).

واحتج الشافعيّة والحنابلة بحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال «كنا نقول في الصلاة قبل أن يُفرض التشهدُ: السلام على الله، السلام على جبريل وميكائيل، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: لا تقولوا هكذا، فإن الله عزَّ وجلَّ هو السلام، ولكن قولوا: التحياتُ لله والصلواتُ والطيباتُ...» رواه النَّسائي قال النووي قال أصحابنا وفيه وجهان: أحدهما: قوله قبل أن يفرض التشهد فدل على أنه فرض. والثاني: قوله صلى الله عليه وسلم « ولكن قولوا التحيات لله » وهذا أمر والأمر للوجوب ولم يثبت شيء صريح في خلافه. (المجموع شرح المهذب ٣/٤٦٣).

وأما الجواب عن حديث المسيئ صلاته فقال أصحابنا إنّما لم يذكره له لأنه كان معلوما عنده ولهذا لم يذكر له النية وقد أجمعنا

"جمهور أهل الحديث على ثبوت الفرضية بخبر الواحد إذا دل على اللزوم."

علي وجوبها ولم يذكر القعود للتشهد وقد وافق أبو حنيفة علي وجوبه ولم يذكر السلام وقد وافق مالك والجمهور على وجوبه. (المجموع شرح المهذب ٣/٤٦٣).

٢- التّشهّد الأوسط: ذهب الحنفيّة في الأصحّ، والمالكيّة في قول، وهو المذهب عند الحنابلة وهو قول الليث وإسحاق وإليه ذهب داود وأبو ثور ورواه النووي عن جمهور المحدثين. إلى: أنّ التّشهّد واجب في القعدة الّتي لا يعقبها السّلام،

ويرى الحنفيّة في قول، والمالكيّة في المذهب، والشّافعيّة، والحنابلة في رواية: سنّيّة التّشهّد في هذه القعدة. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٣٠/١٣، ونيل الأوطار للشوكاني ٢/٣٠١).

قال شهاب الدين القرافي محتجاً للمالكية ومن وافقهم: وفي الصحاح أنه صلى الله عليه وسلم ترك الجلسة الوسطى فسجد قبل السلام وفي الترمذي أنه سبح به فلم يرجع وهذا شأن السنن. (الذخيرة ٢/٢١٣).

واحتج الحنابلة بحديث ابن مسعود قال: (أن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا قعدتم في كل ركعتين فقولوا التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم ليتخير أحدكم من الدعاء أعجبه إليه فليدع به ربه عز وجل). رواه أحمد والنسائي.

قال الشوكاني: فيه دليل لمن قال بوجوب التشهد الأوسط ورواه النووي عن جمهور المحدثين. ومما يدل على ذلك إطلاق الأحاديث الواردة بالتشهد وعدم تقييدها بالأخير ولأنّه يجب بتركه سجود السّهو. (نيل الأوطار- ٢/٣٠١).

قال ابن حجر: واحتج الطبري لوجوبه بأن الصلاة فرضت أولا ركعتين وكان التشهد فيها

واجبًا فلما زيدت لم تكن الزيادة مزيلة لذلك الواجب، وأجيب بأن الزيادة لم تتعين في الأخيرتين بل يحتمل أن يكونا هما الفرض الأول والمزيد هما الركعتان الأوليان بتشهدهما ويؤيده استمرار السلام بعد التشهد الأخير كما كان. (فتح الباري لابن حجر ٢/٣١٠).

قال الشوكاني: ولا يخفى ما في هذا التعقب من التعسف وغاية ما استدل به القائلون بعدم الوجوب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترك التشهد الأوسط ولم يرجع إليه ولا أنكر على أصحابه متابعته في الترك وجبره بسجود السهو فلو كان واجبا لرجع إليه ولأنكر على أصحابه متابعته ولم يكتف في تجبيره بسجود السهو ويجاب عن ذلك بأن الرجوع على تسليم وجوبه للواجب المتروك إنما يلزم إذا ذكره المصلي وهو في الصلاة ولم ينقل إلينا أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره قبل الفراغ، اللهم إلا أن يقال إنه قد روى أن الصحابة سبحوا به فمضى حتى فرغ كما يأتي وذلك يستلزم أنه علم به. وترك إنكاره على المؤتمين به متابعته إنما يكون حجة بعد تسليم أنه يجب على المؤتمين ترك متابعة الإمام إذا ترك واجبًا من واجبات الصلاة، وهو ممنوع والسند الأحاديث الدالة على وجوب المتابعة وتجبيره بالسجود إنما يكون دليلاً على عدم الوجوب إذا سلمنا أن سجود السهو إنما يجبر به المسنون دون الواجب وهو غير مسلم. (نيل الأوطار ٢/٣٠١).

> ”يجب على المؤتمين ترك متابعة الإمام إذا ترك واجباً من واجبات الصلاة.“

هذا، والحمد لله رب العالمين، وللحديث بقية إن شاء الله.

هوامش:

١- وهذه القاعدة عند أهل العلم في الصلاة خاصة استدلالاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

٢- وعلمًا بأن جمهور أهل الحديث (المالكية، والشافعية، والحنابلة على ثبوت الفرضية بالخير إذا دلَّ على اللزوم سواءً كان قطعي الثبوت والدلالة أو ظنيهما).

شكر وتقدير

للأستاذ الدكتور/ عمرو نويرا، أستاذ المسالك البولية، على الجراحة الناجحة التي أجرها للشيخ أشرف وهيب، الداعية بفرع أنصار السنة ببلبيس.

وأسرة التحرير تتقدم له بخالص الشكر والتقدير، ومزيد من التوفيق.

عزاء واجب

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء إلى الأخ الشيخ/ لطفي السيد، الداعية بفرع البلاشون، شرقية، لوفاة والده، رحمه الله رحمة واسعة، وجعل الجنة مثواه.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين: القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا.

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.


الآن
المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد
١٤٣٥
موسوعة علمية
لاتخلو منها مكتبة
ويحتاج اليها
كل بيت
سارع بحجز
نسختك من
المجلد الجديد
الآن أصبحت ٤٣ مجلداً من الموسوعة
الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد.
استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدَّم ؛ فقط ادفع ١٠٠ جنيهاً بعد الاستلام على ثمانية أشهر .
من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له
أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُزكًى من الفرع .
23936517